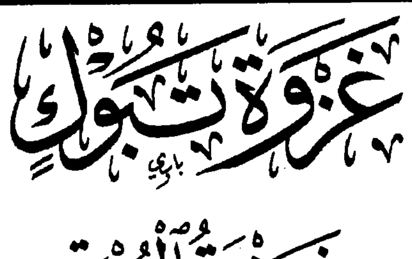
سلسلة

غزوات الرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم

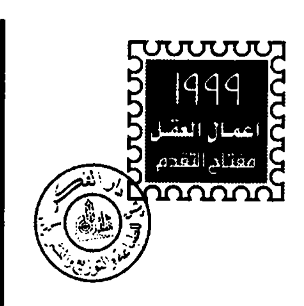
الدكتور شوقي أبو خليل



غزوة تبوك

غزوة العسرة



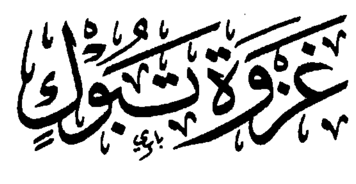


الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٣١, ٠٦٢٢
الرقم الدولي للسلسة: ISBN: 1-57547-102-7
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-111-6
الرقم الموضوعي: ٢٧٠
الموضوع: السيرة النبوية
السلسلة: غزوات الرسول الأعظم
العنوان: تبوك (غزوة العسرة)
التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٤٤ ص
قياس الصفحة: ١٤× ٢٠ سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
ط١: ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم



تبوك : غزوة العسرة / شوقي أبو خليل . ـ دمشق : دار الفكر، ١٩٩٦ . ـ
١٤٢ ص ؛ ٢٠ سم.
١ ـــ ٩٥٦,٠٢ خ ل ي ت ٢ ـ ٢١٩,٦ خ ل ي ت
٣ ـــ العنوان ٤ ـ أبو خليل
مكتبة الأسد
ع ـــ ١٩٩٦/٦/٧١١

مَا بَدَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حرباً قطّ ،
إذ كان حريصاً ألا يُراق دم إنساني
فهو نبيُّ المرحمة .
ولكن إذا كانت لا محالة واقعة كان رَجُلَها
الأول . . فهو نبيُّ الملحمة .
لقد كان عظيماً في رحمته بالناس ،
عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في
خططه ، عظيماً في تحقيق النّصر واستثماره .

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِير

☆ ﴿ ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .

[التوبة : ١٢٤] .

بلغت حدود الإسلام اليمن والبحرين ، وسواحل البحر الأحمر الشرقية كلها ، والأردن شمالاً ، وبذلك يكون النبي ﷺ قد أنهى عمله داخل الجزيرة العربية ، فوحّد العرب عقيدةً ودولةً وجيشاً ، فنزل قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الذين لايؤمنونَ باللهِ ولاباليومِ الآخِرِ ولايُحَرِّمون ماحرّمَ اللهُ ورسولُهُ ولايدينونَ دينَ الحقِّ من الذين أُوتوا الكتابَ حتى يُعْطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صَاغِرون[1] ﴾ .

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٣٠ .

فحـان زمن العمل الخـارجي ، بعـد أن وقف الروم موقف العـداء من الإسلام ، ونزل أيضاً قوله تعالى :

﴿ انفروا خفافاً وثقـالاً وجـاهـدوا بـأموالكم وأنفسكم في سبيلِ اللهِ ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون[1] ﴾ .

﴿ انفروا ﴾ .. بعد أن زكى رسول الله ﷺ النفوس ، وغرس فيها الإرادة والعزم والهمم ، فكانت (غـزوة تبـوك) أعظم امتحـان ، وكأن النبي ﷺ مـاأراد أن يخرج من الـدنيـا إلا بعـد إعطـاء شهـادة الإسلام الحق ، بعـد فحص عظيم ، فكانت النتـائج ـ كما سنرى خـلال صفحـات الكتاب ـ رائعة عظيمة ، فسلَّم النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ـ الخليفة الراشدي الأول ـ جيشاً ناجحاً رائعاً .

تبوك .. السفر بعيد وشاق ، والحر شديد ، والخطر أكيد .. وكان باستطاعة النبي الكريم الانتظار إلى أوائل فصل الشتاء ، حيث تعتـدل الحرارة ، ويطيب الطقس .. لكنــه ﷺ أراد تــدريب المسلمين على أعظم المشاق ، وأعظم المعارك ، وأعظم الحروب ، وأعظم البذل ..

تبوك .. جعل الإيمـان بُعْـدَهـا قربـاً ، ومشـاقهـا سهلـة يسيرة ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٤١ .

وتعبها راحة ولذة .. فأمر الإيمان عجيب[1] ..

تبوك .. سينطلق إليها في الحر ، وفي وقت نضوج الرطب ، والمسافة بعيدة ، ولاركوب ، صحراء ولاظلال ، صيف محرق ولامياه .. لقد أراد النبي ﷺ تحقيق أعظم تجربة ، وأعظم أنموذج للمسلمين من بعده ، يؤهلهم لتحرير العالم وتوحيده .

دعاهم ﷺ لقتال بني الأصفر ، والسفر مشياً ، فكل ثلاثة على راحلة واحدة ، يركب أحدهم ساعة ويمشي ساعتين ، مسافة سبعمائة كيلو متراً ، ولاظلال ، ولاأفياء ، ولامحطات استراحة ، ولاأنهار ولاعيون .. حتى لامال ولامؤن ..

لبّى الشعب المؤمن ، ثلاثون ألفاً ، كل مسؤول عن سلاحه ومؤونته وذخيرته ، ثلاثون ألفاً كلهم شوق إلى رحلة السماء ، رحلة شوق سببها رؤيا روحية صادقة إلى النعيم المقيم ، وجلاء بصري إلى مقام رفيع في جنة الخلد « كأني بعرش ربي بارزاً ، أنظر إلى أهل الجنة يتنعّمون ، وإلى أهل جهنم يتعاوون » .

---

(١) رأى رجل من السلف الصالح شاباً يزحف على قدميه ويديه من خراسان ليحج ، فسأله : كيف ستصل مكة ؟ فقال : بُعدُ المسافة فالحب والشوق والإيمان يقربها ، وأما ضعف الجسم والمهجة والنفس فربها يحملها ، يقول الرجل الصالح : رأيته في الحج .

دعاهم فلبوا .. ولكنه لم يدعهم ويخاطبهم « بياأيها الناس » ، « ياأيها الجاهلون » ، « ياأيها العرب » .. خاطبهم ودعاهم بـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ ، دعاهم بعد أن دخلوا في مدرسة الإيمان ، فتزكت نفوسهم ، ورتعت في رياض العلم قلوبهم وعقولهم ، وطهرت أرواحهم وتنقّت وتنوّرت بتربية رسول الله ﷺ .

انفروا إلى الجهاد ، إلى تبوك ، من أجل حماية دولتكم ودعوتكم ، ومن أجل إنقاذ الشعوب من التخلُّف والوثنية ، لخلاصها من الظلم والطواغيت والجبابرة .. إلى سماحة الإسلام ، وكرامة الإنسان ، لامن أجل استعمار الشعوب والسيطرة على خيراتها وانتزاع اللقمة من أفواه أطفالها وأبنائها ، **فالإسلام جاء ليحقق الرفاه للجميع ، لكل الأُمم « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » ، جاء الإسلام وهو مقتنع كامل القناعة أنه لايمكن أن تسعد أُمة على شقاء أُمة أُخرى** ، أما طاف المنادي بالمال أيام عمر بن عبد العزيز ولم يجد من يأخذه ، كل ذلك بعد أن حقق لكل فرد حاجته ، حتى المكفوف جعل له دليلاً يقوده في تجواله ؟؟

سنرى في أحداث تبوك قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا . ثلاثة من أصل ثلاثين ألفاً .. وهذا يعني أن واحداً من أصل عشرة آلاف تخلَّفوا ، مانضج إيمانهم بعد ، وامتحانهم كان في تبوك .

ثلاثة فقط من أصل ثلاثين ألفاً .. وهذا يعني أن واحداً فقط من أصل عشرة آلاف تخلّف عن الجهاد . فأية نتيجة مثالية فريدة أعطاها الإسلام للعروبة بعد بناء الفرد لمدة ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة ، وعشر سنوات في بناء الدولة في المدينة المنوَّرة ؟

لقد أعطى الإسلام العروبة أروع وأعظم النتائج ، وبأقل وأقصر الأوقات ، وبأقل وأبسط العطاءات .

ثلاثة تخلفوا عن تبوك .. مادُعُوا إلى محكمة عسكرية ، ولم يصدر بحقهم حكماً جسدياً مادياً . بل بأرقى معاملة لإنسانية الجندي أصدر النبي ﷺ قراره بمقاطعتهم .. وأطاع الشعب كله قرار نبيِّه ، ونفَّذه بعد كامل الاستيعاب للهدف المرجو ، كل ذلك برقيب من الذات .

ثلاثة قالوا : لاعذر لنا عن تخلفنا عن تبوك ، فلم يُسْجَنُوا في سجن غليظ الجدران . ولم تُضاعف لهم الخدمة ، بل مقاطعة ، فأية دولة قوانينها الجزائية أو الجنائية فكَّرت أو تخيَّلت أن تجعل عقوباتها مثل هذه العقوبة اللطيفة . وأي تأديب كهذا التأديب في رقته من جهة ، وفي جدواه من جهة أخرى ؟!؟

لطف ورقة أتيا بأصلب النتائج والثمرات المرجوة . لقد خفتت جذوة الإيمان في قلوبهم إلى حين .. ثم أضاءت بشكل صحيح سليم إلى الأبد .

والحديث عن غزوة تبوك (غزوة العسرة) يطول .. فإلى أسبابها والاستعدادات إليها ، أحداثها ، موقف المنافقين منها ، نتائجها ...

إلى المادة التاريخية على بركة الله ، فهو مسدد الخطى ، وملهم الصواب ، لأنه من وراء القصد .



شوقي أبو خليل
دمشق - سوريه
ص . ب ٦٢٢٢
Shawki@ Fikr.com

أَسْبَابُ تَبُوك

☆ أيقن الروم أن دولة الإسلام توشك أن تشملهم فكيف بعدم المبالاة ، وهي الدولة التي تتمتّع بقوتها وعزتها وعنفوانها بعد انتصارها على الفرس ؟

عاد النبي ﷺ بعد حنين وحصار الطائف إلى المدينة المنورة ، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ثمانٍ للهجرة ، وبلغه ﷺ[1] أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء[2] ، بعد أن كتبت متنصِّرة العرب إلى هرقل يستحثونَهُ في قتال محمد بن عبد الله ، وهوّنوا الأمر عليه « هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم[3] » ، ولم يكن لذلك حقيقة ، يقول ابن إسحاق : « إنما كانت

---

(١) وذلك في شهر رجب من عام ٩ هـ ، الموافق لعام ٦٣٠ م .

(٢) البَلْقَاءُ : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمّان ، وفيها قرىً كثيرة ومزارع واسعة ، والبَلَق : مشتق من السواد والبياض مختلطان . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٨٩ .

(٣) السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٤٧ .

تربَّص بالإسلام أمر هذا الحيّ من قريش ، كانوا إمام الناس وهاديَهم، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام ، وقادة العرب ... لايُنكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتُتِحَت مكة ، ودانت له قريش ودَوَّخها الإسلام ، عرفت العرب أن لاطاقة لهم بحرب رسول الله ولاعداوته ، فدخلوا في دين الله ـ كما قال الله عز وجل ـ أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه » .

فماهي إلاّ دورة العام ، حتى صارت جزيرة العرب موئل الإسلام ، وصار أهلها من العرب هم أهله وحُمَاته .

ومن هنا أخذت أُمة الإسلام تتكيَّف في الجزيرة تكيُّفاً دولياً ، وتظهر في الوجود كدولة لها كل المقوِّمات التي تحفظ كيانها ، وتضمن سلامتها وتحميها من كل مايعوق سيرها وتقدمها ، ولم يكن المراد بها أن تكون أُمة كسائر الأُمم ، إنما كان المراد أن تكون خير أُمَّة أُخرجت للناس ، مهمتها أن تصلح الفساد ، وتقوِّم العِوَج ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، يدفعها إلى ذلك إيمانها بالله وحده ، ورغبتها في أن تقوم الحياة في هذه الأرض على الأساس الذي وضعه الله لعباده ، وأن تسير في الطريق الذي يحبه ويرضاه لهم .

على هذا الأساس قامت دولة الإسلام في الجزيرة العربية ،

ولأجل هذه الغاية وضعت لها القواعد التي تضمن سلامة مجتمعها من كل آفة ، وحماية أرضها من كل عدو ، وإعداد أفرادها للنهوض بأعباء الأُمّة المثالية الخيِّرة ، ولاحتمال كل ماينشأ عن مقاومة الظلم وإقامة العدل من تبعات ، ومايترتب على مطاردة الشر وإشاعة الخير من تكاليف ، وهي مهمة ثقيلة التبعات ، باهظة التكاليف ، ولكنها المهمة التي ندب الله لها أُمة الإسلام ، وجعلها ـ من أجلها ـ خير أُمَّة أُخرجت للناس[1] .

في الوقت الذي كان فيه رسول الله ﷺ يعد العرب لهذه المهمة العظيمة ، كان الروم في شمال الجزيرة العربية ينظرون إلى هذه الحوادث نظر التوجّس والخوف . لقد خافوا على :

١ ـ مصالحهم التجارية ، والتي كانت تمر مخترقة الجزيرة من شمالها إلى جنوبها .

٢ ـ وخافوا على عملائهم الذين كانوا في شمال الجزيرة ، يأتمرون بأمرهم ، ويخضعون لسلطانهم .

٣ ـ وخافوا على أنصارهم في الجزيرة العربية ، الذين كانوا يعتمدون عليهم في حماية تجارتهم . ذكر ابن الأثير :

« أنه لما أمر الله تعالى أن يُمنع المشركون من قربان المسجد الحرام

---

(١) صور من حياة الرسول ، ص : ٥٥٦ بتصرُّف .

في الحج وغيره ، قالت قريش : لينقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج ، وليذهبن ماكنا نصيب منها[1] » .

٤ ـ كما خاف الروم على دينهم ، لقد كانت النصرانية دين دولتهم الرسمي ، يدين بها الغساسنة أتباع دولتهم من العرب ، كما كان يدين بها بعض العرب في شمال الجزيرة العربية وجنوبها .

٥ ـ وأراد الروم تأمين الحدود الجنوبية من ناحية العرب ، لبقاء جهودهم موجَّهة ضد عدوهم القوي الفرس .

وساعد الروم على حفظ مصالحهم هذه ، فرقة العرب وشتاتهم وتمزّق كلمتهم ، وكانت مصلحتهم في بقاء هذا التفرُّق والتمزُّق ؛ ليستمروا في سلطانهم المبسوط على أتباعهم في شمال الجزيرة العربية .

تنبَّه الروم لخطر الموقف بعد أن وحّد رسول الله ﷺ العرب وضمَّ أطراف جزيرتهم إلى عقيدة واحدة ، وهرقل أول من تنبَّه إلى عظمة الأمر ، وخطورة الموقف ، بعد أن وصلته رسالة النبي ﷺ[2] ، فقال

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٢ .

(٢) ونص الرسالة الآتي : [بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل قيصر الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتولَّ فإن إثم الأكارين ـ الأريسيين ـ عليك » .

الطبري ، جـ ٢ ص ٦٤٤ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٤٥ .

بعد أن سأل أبا سفيان[1] أسئلة عديدة : « **إن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين** » .

ومؤتة .. كانت أول عمل قام به الروم لطمس الدعوة الجديدة ، (ولإخماد هذه الدعوة التي ظنّوها شرارة لاتلبث أن تنطفئ)[2] .

نظر الروم إلى الإسلام نظرة الجد والاهتمام ، فتابعوا أخباره ، وأدهشهم اتساع محيطه وحلقاته ، أخبرهم بذلك عيونهم أولاً بأول ...

١ ـ كعب بن مالك

وصلته رسالة من ملك غسَّان تقول له : « فالحق بنا نواسِك »[3] ، و (دولة) غسّان كانت تابعة لدولة الروم ، فلولا أن الروم كانوا يتابعون أخبار الرسول ﷺ وأصحابه ، لما كان من الحتم أن يصل مثل هذا النبأ إليهم ، ولاكان من الطبيعي أن يهتم به ملك غسَّان هذا الاهتمام .

٢ ـ وقصة المسجد الضرار[4]

دليل على صلة أُخرى بين الروم وبين المنافقين من أهل المدينة ،

(١) كان أبو سفيان في غزة في تجارة له .

(٢) صور من حياة الرسول ، ص : ٥٥٨ .

(٣) سيأتي تفصيل الحادثة .

(٤) سيأتي تفصيل الحادثة أيضاً خلال صفحات الكتاب الأخيرة .

فأبو عامر الراهب لم يطق البقاء في المدينة المنوّرة ، بعد أن ظهر فيها أمر رسول الله ﷺ ، فذهب إلى قيصر ملك الروم يستنصره على النبي الكريم ، فوعده ومنّاه وأقامه عنده ، فكتب أبو عامر الراهب إلى جماعته من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم بأنه سيقدم بجيش يقاتل به محمداً ، وأمرهم أن يتخذوا معقلاً ، فشرعوا في بناء مسجد الضرار ، مسجد الشقاق والتفرقة .

٣ ـ فروة بن عمرو بن النافرة

من بني نفاثة ، من جذام ، أمير كان قبيل الإسلام ، وفي عهد النبوة عاملاً للروم على قومه بني النافرة ، بين خليج العقبة ومدينة ينبع ، وعلى من كان حوالي مدينة معان من العرب . ولما ظهر الإسلام بمكة والمدينة ، بعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، وأهدى إليه بغلة بيضاء . وعلمت حكومة قيصر باتصاله هذا ، فسلّطت عليه الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، فقبض عليه ـ بأمر من هرقل ـ بتهمة الخيانة ، وحاول هرقل أن يردّه إلى المسيحية ، ولكن فروة أصرَّ على إسلامه ، فقتله هرقل صلباً بفلسطين[١] .

---

(١) ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٥٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٨٦ ، وقال فروة قبيل صلبه ، كما جاء في البداية والنهاية :

بَلِّغ سُراةَ المسلمينَ بأنّني ... سَلَمٌ لربي أعْظُمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ماء يقال له « عَفرَّى » بفلسطين ، رحمه الله وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه .

ومن مجمل ماسبق ...

أيقن الروم أن دولة الإسلام توشك أن تشملهم ، فكيف بعدم المبالاة ، وهي الدولة التي تتمّع بقوتها وعزّتها وعنفوانها بعد انتصارها على الفرس ، وهي التي تملك ـ كما تعتقد ـ مقومات النصر كاملة على دولة وليدة .

اجتمع الروم ومعهم قبائل لخم وجذام وعاملة وغسّان في البلقاء ، يريدون دولة الإسلام ، إما خشية من انتقام المسلمين « لمؤتة » ، أو لعل هرقل اندهش من قوة هؤلاء المؤمنين المجاهدين ، فقرر سحق دولتهم في مهدها .



ولرد هذه الجموع طريقتان :

١ ـ إما تركهم يداهمون الإسلامَ في عقر داره ، وماغُزِي قوم في عقر دارهم إلاّ ذُلُّوا .

٢ ـ وإما أن يداهم الإسلامُ أعداءه الذين أعدُّوا العُدَّة على أرضهم ، وذلك في (حرب وقائية) .

واختار رسول الله ﷺ الثانية لما فيها من معاني القوة والعزّة .

☆ ☆ ☆

النفير العام
ومبدأ الحرب الشاملة

☆ ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

[التوبة : ٤١]

أمر ﷺ المسلمين بالتهيُّؤ لغزو الروم في نفير عام ، وتعبئة كاملة ، وذلك في :

١ ـ زمن عُسْرة من الناس .

٢ ـ وشدة من الحر .

٣ ـ وجَدْب من البلاد .

٤ ـ وحين طابت الثمار ، وأُحبّت الظلال .

فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم فيه .

وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يقصده ، إلا ماكان من غزوة تبوك ، فإنه بَيَّنها للناس ، للأسباب التالية :

١ ـ لبُعْد الشُّقَّة .

٢ ـ وشدّة الزمان .

٣ ـ وكثرة العدو الذي يقصده .

٤ ـ وليتأهَّب الناس لذلك أُهبته .

أمر ﷺ الناسَ جميعاً بالْجهاز ، وأخبرهم أَنه يريد الروم ، فأعلن بذلك عن مكان مسيره ، كي لا يؤدي نقصان المواد التموينية إلى إخفاق الغزوة .

فتجهَّز المسلمون على ما بأنفسهم من الكُرْه لذلك الوجه لما فيه من بعد الشُّقَّة ، وشدّة الحر ، مع ماعظَّموا من ذكر الروم وغزوهم[1] .



مواقف متباينة :

حضّ النبي ﷺ أَهل الغنى على النفقة والحُمْلان[2] في سبيل الله ،

---

(١) غزوة تبوك في مراجع كثيرة ، منها : الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٥١ / ب ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ١٦٥ ، وعيون الأثر : جـ ٢ ص ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٠ ومابعدها ، والبداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٢ ، والكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٨٩ ، وابن خلدون (العبر) ، جـ ٢ ص ٤٩ ، والسيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٤٧ ، وابن هشام ، جـ ٤ ص ١١٨ ... وكتب الحديث الشريف الصحاح .

(٢) الحُمْلان : مصدر حمل يحمل .

ورغّبهم في ذلك ، فحمل المسلمون من أهل الغنى فقراء المسلمين محتسبين ذلك عند الله عز وجل .

وكان أول من جاء باذلاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، جاء بماله كُلِّه ، أربعة آلاف درهم ، فقال ﷺ : « هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ » ، ويجيب أبو بكر جواب المسلم الصادق الذي يعيش بكل كيانه للإسلام ، مع محبَّة صادقة للنبي ﷺ ، يجيب رضي الله عنه : « **أبقيت لهم الله ورسوله** » .

وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله ، فسأله ﷺ : « هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ » ، ويجيب عمر رضي الله عنه : « نعم ، نصف مالي » . فما بين الصدِّيق وعمر كما بين كلمتيهما ، وعرف عمر أنه لا يستطيع مسابقة أبي بكر[1] .

وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية لرسول الله ﷺ ، قسم ماله نصفين ، ويدعو رسول الله ﷺ له : « **بارك**

---

(١) قال ﷺ لأبي بكر : ماتركت لأهلك ؟ قال : عِدَةَ اللهِ وَعِدَةُ رسوله ، ويقول عمر لأبي بكر : بنفسي أنت وبأهلي أنت ، مااستبقنا باب خير قط ، إلا سبقتنا إليه ، وفي رواية : قال عمر : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدّق ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر . فجاء بنصف ماله ، فسأله النبي : ماأبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، ويسأل النبي أبا بكر : ماأبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقال عمر : لاأسبقه إلى شيء أبداً . [أُسد الغابة ، جـ ٣ ص ٣٢٦ و ٣٢٧] .

الله لـــــك فيما أنفقت وفيما أبقيت » ، وتتحقــق دعــوة رســول الله ﷺ[1].

وقدَّم عاصم بن عدي سبعين وسقاً من تمر[2].

وبات أبو عقيل الأنصاري يجر بـالجَرير[3] على ظهره على صـاعين من تمر ، فترك أحدهمـا في أهلـه ، وجـاء بـالآخر يتقرب بـه إلى الله عز وجل ، فأخبر به النبي ﷺ فقال : « اجعله في تمر الصدقة »[4].

وجهز عثمان رضي الله عنـه ثلث الجيش ، قـال ابن إسحـاق : أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها .

---

(١) روى معمر عن الزهري قال : تصدَّق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر مـالـه أربعة آلاف ، ثم تصدّق بأربعين ألفاً ، ثم تصدق بـأربعين ألف دينـار ، ثم حمل على خمسمائـة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة .
توفي سنة ٤١ هـ بالمدينة المنورة وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ، ولمن بقي ممن شهد بـدراً لكل رجل أربعمائـة دينـار ، وكانوا مـائـة ، وأوصى بـألف فرس في سبيل الله .
خلَّف مالاً عظيماً ، من ذلـك ذهب قُطِّع بـالفؤوس ، وكان لـه أربع نسوة ، أُخرجت امرأة ـ يعني صولحت على نصيبها من الميراث ـ بثمانين ألفاً . [أُسد الغابة ، جـ ٣ ص ٤٨٥] .

(٢) الوَسْق والوِسْق : حمل بعير ، أو مِكْيَلَة معلومة . [لسان العرب ، جـ ١٠ ص ٣٧٨] .

(٣) الجرير : الحبل ، أراد أنه كان يستقي الماء بالحبل .

(٤) أبو عقيل (صـاحب الصـاع) الـذي لمزه المنـافقـون مختلف في اسمـه ، فقيـل : حَبحَـاب « قـالـه قتادة » . أُسد الغابة ، جـ ٦ ص ٢٢٠ .

وروي عن قتادة : حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير ، وسبعين فرساً ، وروى الإمام أحمد والبيهقي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كُمِّه حين جهَّز جيش العسرة ، فنثرها في حِجْره ﷺ ، فرأيت رسول الله ﷺ يُقَلِّبها في حجره ويقول : « **اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راضٍ ، غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وماأعلنت وماهو كائن إلى يوم القيامة ، ماضرّ عثمان ماعمل بعد اليوم** » .

وجاء العباس بمالٍ كثير ، وكذا طلحة[1] ..

وبعثت النساء بكل مايقدرن[2] ، وبعثن بحليِّهن ..

وإنفاق الصحابة هذا ـ في تبوك وغيرها ـ يجعلنا نقول : للإسلام

---

(١) طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، أبو محمد ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، ولما أسلم آخى رسول الله ﷺ بينه وبين الزبير بن العوام بمكة قبل الهجرة ، فلما هاجر إلى المدينة آخى ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أصحاب الشورى . سمّاه الرسول يوم أُحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفيّاض ، ويوم حنين طلحة الجُود ، قال علي : سَمِعَتْ أُذني رسولَ الله يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » ... أسد الغابة ، جـ ٣ ص ٨٥ ومابعدها .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، والسيرة النبويّة والآثار المحمدية هامش السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٣٦٧ .

فلسفة رائعة في المال والغنى . فالغنى يتم أولاً من مصدر طيب حلال ، لينفق في سبل خيِّرة حلال .. المال كله لله ، ينفق في سبيله .

كما أن الإسلام يحارب ثروة البخلاء ، وغنى الأشحاء ، وأموال الجهلاء السُّفهاء .. وينمي أموال الفضلاء الكرماء الأسخياء ، لينفقوا حسب حاجات المجتمع الإسلامي ، لا للفقراء فحسب ، بل في الجيوش ، والمدارس ، والمصانع ..

فإقامة الصلاة ، أمر إلهي بعد الإيمان والطهارة والوضوء .

وأنفقوا في سبيل الله ، أمر إلهي بعد الغنى والثروة ، للبذل والسخاء والعطاء ..

البكَّاؤون :

وهم سبعة نفر من الأنصار[1] وغيرهم من بني عمرو بن عوف ، وهم :

١ ـ سالم بن عمير .
٢ ـ علبة بن زيد ، أحد بني حارثة .
٣ ـ أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أحد بني مازن بن النجار .

---

(١) وعند ابن سعد ، جـ ٢ ص ١٦٥ : « البكاؤون بنو مُقَرِّن السبعة ، وهم من مُزَينة » .

٤ ـ عمرو بن حمام بن الجموح . أخو بني سلمة .
٥ ـ عبد الله بن المغفل المزني ، (أو هو عبد الله بن عمرو المزني) .
٦ ـ هرمي بن عبد الله أخو بني واقف .
٧ ـ عرباض بن سارية الفزاري .

طلبوا من رسول الله ﷺ مايحملهم عليه ، وكانوا أهل حاجة ، فقال ﷺ : « لاأجِدُ ماأحملكم عليه »[١] .. فخرجوا وأعينهم تفيض من الدمع . كما وصفهم الله عز وجل : ﴿ .. **تَوَلَّوا وأعينهم تفيضُ من الدَّمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون** ﴾[٢].

ويلقى يامينُ بن عمير بن كعب النَضْريّ[٣] أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب ، وعبدَ الله بن المُغَفَّل يبكيان ، فقال لهما :

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٥٢ / ١ ، السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٤٩ ، والطبري ، جـ ٣ ص ١٠٢ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٩٢ .
(٣) يَامِينُ بن عمير (أو يامين بن يامين) ، اختلفوا في اسم أبيه ، وهو من مسلمي أهل الكتاب ، أسلم وحسن إسلامه ، وهو من كبار الصحابة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله ﴾ ، قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام ، وأسد وأُسيد ابني كعب ، وثعلبة بن ياقيس ، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام ، وسلمة ابن أخي عبد الله بن سلام ، ويامين ، هؤلاء مؤمنو أهل الكتاب ، [أُسد الغابة ، جـ ٥ ص ٤٦٨] .

مايبكيكما ؟ قالا : جئنا رسولَ الله ليحملنا فلم نجد عنده مايحملنا عليه ، وليس عندنا مانتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما جملاً فارتحلا عليه ، وزوَّدهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ .

وأما علبة بن زيد ، فخرج من الليل فصلى من ليلته ماشاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغّبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ماأتقوّى به ، ولم تجعل في يد رسولك مايحملني عليه . وإني أتصدّق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض . ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « أين المتصدِّق هذه الليلة ؟ » ، فلم يقم أحد ، ثم قال : « أين المتصدِّق ؟ فليقم » ، فقام إليه علبة : فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذي نفسي بيده كُتِبت في الزكاة المُتَقَبَّلة » .

وروى البيهقي هاهنا حديث أبي موسى الأشعري ، قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحملان إذ هم معه في جيش العسرة غزوة تبوك ، فقلت : يانبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لاأحملكم على شيء » ووافقته وهو غضبان ولاأشعر ، فرجعت حزيناً من منع رسول الله ﷺ ، ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليَّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ ، فلم أَلبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي أين

عبد الله بن قيس[١] ؟ فأجبته ، فقال : أجب رسول الله ﷺ يدعوك ، لما أتيت رسول الله ﷺ قال : « خذ هذين القربتين ، وهذين القربتين ، وهذين القربتين » ، لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ، فقال : « انطلق بهن إلى أصحابك فقل : إن الله ـ أو إن رسول الله ـ يحملكم على هؤلاء » . قلت : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء ، ولكن والله لاأدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله حين سألته لكم ومنعه لي في أول مرّة ، ثم إعطائه إياي بعد ذلك ، لاتظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله ، فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدَّق ، ولنفعلن ماأحببت ، فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول ﷺ من منعه إياهم ثم إعطائه بعد ، فحدثوهم بما حدثهم به أبو موسى سواء .. فقالوا : رسول الله ﷺ يمينه والله لايبارك لنا . فرجعوا له ، فقال ﷺ : « ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم » ، ثم قال : « إني والله إن شاء الله لاأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها »[٢] ، أي فهو ﷺ إنما حلف أن لايتكلَّف لهؤلاء حملاً بقرض ونحوه ، مادام لايجد لهم حملاً .

---

(١) وهو أبو موسى الأشعري ، وفي البخاري عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ سائلاً الحملان لهم .. ثم يورد البخاري الرواية أعلاه .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٥ .

وفي رواية .. قال ﷺ لهم : « والله لاأحملكم على شيء ، ولاأجد ماأحملكم عليه » . وماهي إلا فترة قصيرة وبلال ينادي : أين عبد الله بن قيس ؟ فأجابه ، فقال بلال : أجب رسول الله ، فلما جاءه قال ﷺ : « خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها إلى أصحابك » .

وتذكر كتب التاريخ أن العباس حمل اثنين منهم ، وحمل عثمان ثلاثة منهم ... فلعل يامين بن عمير والعباس وعثمان قدّموا لرسول الله ﷺ الستة أبعرة ، وقدّمها رسول الله للبكائين .

وهؤلاء البكاؤون ، فئة أظهرت من الإيمان عميقه ، لم يجدوا مايحملوا أنفسهم عليه إلى تبوك بسبب فقرهم . لم يجدوا مايعينهم على الجهاد في سبيل الله ، طلبوا من النبي ﷺ أن يركبهم : « احملنا ولو على الخفاف المخصوفة » فرأوا أن المنتعل راكب ، ويجيب رسول الله ﷺ : لاأجد .. فخرجوا يبكون . فعلى أي شيء بكوا ؟!؟

خرجوا يبكون من خوف ألا ينالوا شرف الجهاد .

يبكون لأن شرف الجهاد ، وشرف صحبة رسول الله ستفوتهم . ومع أن النبي ﷺ عذرهم ، مارضوا بالعذر ، يريدون أن يكونوا في كل خطوة مع مسيرة الإسلام ، في بنائه ، في توطيد أركانه ، في مجابهة أعدائه ..

وألحُّوا في حملهم حباً في الجهاد ، وحرصاً على صحبة رسول الله حيث التزكية ، والتربية الروحية الرفيعة ، وحيث العلم والنور ، والأخلاق والإيمان والتقوى ...

ثم حملهم ﷺ ، فقال معلماً إياهم الأكملَ والأجودَ والأحسنَ : « .. لاأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير » .

البكاؤون : بسبب أشواقهم أن يكونوا مع رسول الله .

أما من عذر له ، كمرض ، أو عرج ، أو هرم ، أو عمى .. هذا أيضاً بأشواقه وإيمانه مع النبي ﷺ ، مع جيش تبوك ، مع أنه بقي في المدينة المنورة .

فالذين تأخروا بسبب : ﴿ **ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله ولايطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عملٌ صالح إن الله لايُضيعُ أجر المحسنين ، ولاينفقون نفقةً صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون وادياً إلا كُتِبَ لهم ليجزيهم اللهُ أحسن ماكانوا يعملون** ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ١٢١ .

فمن تخلّف بعذر ، شريك المجاهدين في الأجر والثواب ، لأن عذره حبسه ، لاالنفاق أو ضعف الإيمان(١) .

البكاؤون ليسوا عاجزين عن القتال لعلة في تكوينهم ، أو لشيخوخة تقعدهم .. لكنهم لم يجدوا الرواحل التي تحملهم إلى أرض المعركة ، فتألمت نفوسهم حتى فاضت أعينهم دموعاً ، في صورة مؤثرة للرغبة الصادقة الصحيحة في الجهاد ، والألم الصادق للحرمان من نعمة وشرف وكرامة أدائه .

المعذّرون :

وجاء قسم من الأعراب ، فاعتذروا إليه ﷺ ، فلم يعذرهم الله عز وجل ، وهم اثنان وثمانون رجلاً من بني غفار :

﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ، ولكن بَعُدَت عليهم الشُّقَّة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيَّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لايستأذنك الذين يؤمنون بالله

---

(١) قال رسول الله ﷺ في طريق عودته من تبوك : « إن بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولاقطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا : يارسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : نعم حبسهم العذر » ، وفي رواية : « إن بالمدينة أقواماً ماسرتم من مسير ولاقطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض » ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ١٦٨ .

واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴾[1].

﴿ وجاء المُعَذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين كَذَبُوا اللهَ ورسولَهُ ، سَيُصيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ﴾[2].

الذين خُلِّفُوا :

ولما أجمع رسول الله ﷺ السير ، أبطأت النيَّة في نفر من المسلمين ، حتى تخلَّفوا عن رسول الله من غير شك ولاارتياب ، منهم :

- كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة .
- هلال بن أُميَّة أخو بني واقف .
- مرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف .
- أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف .

وكانوا نفر صدق لا يُتَّهمون في إسلامهم .

المنافقون :

وقف المنافقون برئاسة كبيرهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول موقفاً سلبياً من الإسلام منذ اللحظة الأُولى التي وصل بها رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة .

---

(١) سورة التوبة ، الآيات : ٤٢ ، ٤٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٩٠ .

وفي تبوك : من تبرع بالقليل كأبي عقيل (صاحب الصاع) قالوا عنه : إن الله لغني عن تمر هذا ، وسخروا منه ، ومن تبرع بالكثير كعبد الرحمن بن عوف حيث جاء بنصف ماله ، قالوا عنه : هذا رياء[1] ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾[2] .

من تبرع بالقليل .. هذا أحوج إلى ماتصدّق .

ومن تبرع بالكثير .. هذا رياء وسمعة .

فلماذا هذا الموقف السلبي ؟

ولماذا أظهر المنافقون إسلاماً وإيماناً وأبطنوا كفراً وعداءً للإسلام ؟

ظهر المنافقون في المدينة المنورة بعد الهجرة بسبب وجود دولة للإسلام قوية ، مع سيف يحميها . فتظاهر بالإسلام نفاقاً مع صلاة وصيام وإنفاق .. كل ذلك رياء وتقية ، أما حقيقتهم في قلوبهم : ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ قلعة أو حصناً ﴿ أو مغارات ﴾ كي لا يراهم أحد

---

(١) أُسد الغابة ، جـ ٦ ص ٢٢٠ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٨٠ .

من المسلمين ﴿ أو مُـدَّخـلاً ﴾ سربـاً في الأرض ﴿ لـولّـوا إليـه وهم يجمحون ﴾[1] يهربون وهم مـذعورون وخـائفون ، وبـأسرع مـايكـون لشدة عداوتهم وبغضهم ونفاقهم .

ولا يكون النفـاق ، إلاّ عنـدمـا يكون الإسلام قـويـاً ، فيتظـاهر عـدوه بـه ، ولكن الله عز وجـل فضحهم ، وألبسهم رداء سرائر نفـوسهم ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقُون ﴾[2].

وعرفهم النبي ﷺ ، ولكنه حكم بظاهرهم .

كان هدفهم هدم الإسلام وإطفاء نور النبوَّة ، غرضهم تفشيل النبي ﷺ ، وعدم نجاح الدعوة الإسلامية .

وعبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين ، يقول الصحابة بحقـه : دعنـا يـارسول الله نقتلـه ، ولكن رسول الله ﷺ لا يريـد أن يتحـدث الناس أن محمـداً قـاتل بقوم ثم قتلهم ، لايتحـدث النـاس أن محمـداً يقتل أصحابه ..

المنـافقـون .. رأوا معجـزات المصطفى ، ومـانفعتهم الآيـات ولاالمعجزات ، ولانفعتهم بلاغـة النبي ، ولامـاأفـاض الله عليـه : ﴿ وأمـا

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٥٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٥٦ .

الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾[1] .

المنافقون .. أرادوا السَّلامة فأحنوا رؤوسهم لقوة الإسلام وكادوا له داخل صفوفه ، ودسّوا أنفسهم لاعن إيمان واعتقاد ، ولكن عن خوف وتقيَّة ..

تبوك ليست مأمونة العواقب ، شقة بعيدة ، تقاصرت دونها هممهم وعزائمهم الضعيفة ، وجزعت أرواحهم الهزيلة ، وقلوبهم الخربة .

تبوك .. أمر رفيع عال ، تخاذلت دونه نفوسهم الصغيرة ، وبنية إيمانهم الخربة ..

وهؤلاء المنافقون .. صحبوا النبي ﷺ جسدياً وظاهراً ، وماصحبوه روحياً وقلبياً وعقائدياً ، لم يصحبوه صحبة أبي بكر وعمر ، صحبة سعد ومصعب .. هؤلاء صحبوا النبي روحياً وقلبياً حق الصحبة ، فرأوا الموت في سبيل الله حياة .

والمنافقون هؤلاء .. منهم من رافق الجيش إلى تبوك ، ومنهم من تخلّف في المدينة[2] ، وهم لايحسبون على الإسلام ، ولاعلى تربية النبي ﷺ ؛ لأنهم لم يؤمنوا أصلاً ، بل نافقوا خوفاً من قوة الإسلام .

---

(١) سورة التوبه ، الآية الكريمة : ١٢٦ .

(٢) وعددهم سبعون منافقاً .

قال قائل من المنافقين لبعض : لاتنفروا في الحرّ ، زهادةً في الجهاد . وشكّاً في الحق ، وإرجافاً بالرسول ﷺ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وقالوا لاتنفروا في الحرّ ، قل نار جهنّم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾[1] .

وقال ﷺ للجَدّ بن قيس أخي بني سلمة : « هل لك ياجَدُّ العامَ في جِلاد بني الأصفر ؟ » - أي الروم - فقال : يارسول الله ، أَوَتأذنُ لي ولاتفتني ! فوالله لقد عرف قومي مارجلٌ أشدّ عجباً بالنساء منّي ، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أصبرَ عنهن ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وقال : « قد أذنت لك » . ففي الجد بن قيس نزلت الآية : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتني ، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾[2] ، أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر - وليس ذلك فيه - فما سقط فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله ، والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ، وإن جهنم لمن ورائه .

وسنرى مواقفهم في أحداث تبوك مفصّلة .



---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٨١ و ٨٢ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٤٩ .

فِي الطَّرِيقِ إِلَى تَبُوك

روى الإمام أحمد : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعير واحد[(١)] ..

وقال قتادة : إن الرجلين كانا يشققان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم ، يمصّها هذا ثم يشرب عليها ، ثم يمصّها هذا ثم يشرب عليها .

غادر النبي ﷺ المدينة المنوّرة في شهر رجب من سنة ٩ للهجرة ، ومعه ثلاثون ألف مجاهد ، معهم عشرة آلاف فَرَس . وأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورايته العظمى للزبير بن العوام ، وراية الأوس إلى أُسيد بن حضير ، وراية الخزرج إلى الحُباب بن المنذر ، وأمر كل بطن من الأنصار وقبائل العرب أن يتخذوا لواء أو راية .

فمن هؤلاء الرجال الذين حملوا الرايات ؟

---

(١) وذكر ابن سعد أيضاً « الرجلان والثلاثة على بعير واحد » ، جـ ٢ ص ١٦٧ .

☆ أبو بكر الصديق :

يكفيه : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾[1] ، وسنجعل له ترجمة وافية في كتاب (حروب الردّة) إن شاء الله .

☆ أُسَيْد بن حُضَير :

ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس ، الأوسي الأنصاري الأشهلي ، أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة المنوّرة ، وكان أبو بكر الصديق يكرمه ولا يقدّم عليه أحداً .

شهد العقبة الثانية ، وكان نقيباً لبني عبد الأشهل ، وقد اختُلِف في شهوده بدراً ، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد ، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس .

روى عنه كعب بن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، وعائشة رضي الله عنها .

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان أُسيد من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي ، وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم .

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٤٠ .

قرأ في ليلة سورة البقرة ، فإذا شيء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهاله ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال النبي : تلك الملائكة دنوا لصوتك ، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم .

ورُوِي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح ، نعم الرجل معاذ بن جبل ، نعم الرجل أُسيد بن حضير ، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح » .

توفي أُسيد رضي الله عنه في شعبان سنة عشرين ، وحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السرير حتى وضعه البقيع ، وصلى عليه ، وأوصى إلى عمر ، فنظر عمر في وصيته ، فوجد عليه أربعة آلاف دينار ، فباع ثمر نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه[1] .

☆ الزبير بن العَوَّام :

أبو عبد الله ، أُمه صفية بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ ، فهو ابن عمة رسول الله ، أسلم بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير ، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام .

جمع له النبي ﷺ أبويه يوم قريظة ، فقال : بأبي وأُمي .

---

(١) أسد الغابة ، جـ ١ ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل نبي حَوَارِياً ، وحَوَارِيَّ الزبيرُ بن العوَّام » .

وكان الزبير أول من سَلَّ سيفاً في الله عز وجل ، وكان سبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي ﷺ بمكة ، وقع الخبر أن النبي ﷺ قد أخذه الكفار ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه ، والنبي ﷺ بأعلى مكة ، فقال له : مالك يا زبير ؟ قال : أُخبرت أنك أُخِذْت ، فصلى عليه النبي ﷺ ودعا له ولسيفه .

شهد بدراً ، وكان عليه عمامة صفراء مُعْتَجِراً[1] بها ، ونزلت الملائكة يومئذ على سيماء الزبير ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

انصرف عن القتال في معركة الجمل ، فنزل بوادي السباع وقام يصلي ، فأتاه ابن جُرموز فقتله . وجاء بسيفه إلى علي رضي الله عنه فقال : إن هذا سيف طالما فَرَّج الكُرب عن رسول الله ﷺ ، ثم قال : بَشِّر قاتل ابن صفيَّة بالنار[2] .

---

(١) الاعتجار : لَفّ العمامة على الرأس . [مختار الصحاح ، ص ٤١٣] .

(٢) أُسد الغابة ، جـ ٢ ص ٢٤٩ .

☆ **الحُبابُ بنُ المنذر :**

ابن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي ، ذو الرأي ، شهد الحُبَاب المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

ولما نزل النبي ﷺ أدنى ماء من بدر ، قال الحباب : يا رسول الله ، منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ، ولا نقصر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال الحباب : يا رسول الله ، ليس بمنزل ، ولكن انهض حتى تجعل القُلُب[1] كلها من وراء ظهرك ، ثم غور كل قليب بها إلا قليباً واحداً ، ثم احفر عليه حوضاً ، فنقاتل القوم ونشرب ولا يشربون ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله ﷺ : قد أشرتَ بالرأي ، ففعل ذلك ، ولذلك سمي : (ذو الرأي)[2] .

هؤلاء حملة الرايات ، ماض عريق في الإسلام ، ومركز رفيع في القوم ، يشهد لهم ماضيهم بجدارة حمل الأمانة .



---

(١) القَلِيب : البئر قبل أن يبنى بالحجارة (يُذَكَّر ويؤنث) ، البئر العادية القديمة .

(٢) أُسد الغابة ، جـ ١ ص ٤٣٦ .

وخلّف النبي الكريم ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري[1] رضي الله عنه على المدينة المنورة . وخلَّف علياً رضي الله عنه على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم . وعسكر ﷺ على ثنية الوَدَاع ، وضرب عبد الله بن أُبي بن سَلُول عسكره على حِدَةٍ أسفل منه بحذاء ذُبَاب[2] . فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عنه ابن سلول فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الريب ، كعبد الله بن بَنْتَل ، ورفاعة بن زيد بن التابوت .. وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله : ﴿ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وَقَلَّبوا لك الأُمور ﴾[3] .

وأرجف المنافقون بعلي رضي الله عنه ، وقالوا : ما خَلَّفه إلا استثقالاً له ، وتخفّفاً منه ، فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ عليٌّ سلاحه ثم خرج حتى أَتى رسولَ الله ﷺ وهو بالجرف ، فقال : يا نبي الله ، زعم

---

(١) محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك . وهو صاحب العمال أيام عمر ، كان عمر إذا شكي إليه عامل أرسل محمد بن مسلمة يكشف الحال ، وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به . اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان ، واتخذ سيفاً من خشب ، وقال : بذلك أمرني رسول الله ، قال محمد بن مسلمة : أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً وقال : قاتل به المشركين فإذا اختلف المسلمون بينهم فاكسره على صخرة ثم كن حِلْساً من أحلاس بيتك . [وحلس البيت كساء يبسط تحت الثياب ، أي لا تبرح] . أُسد الغابة ، جـ ٥ ص ١٤٢ .

(٢) جبل بالجبَّانة أسفل من ثنية الوداع .

(٣) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٤٨ .

المنافقون أنك إنما خلّفتني أنـك استثقلتني وتخفَّفت مني ! فقـال ﷺ : كـذبـوا ، ولكني إنما خلَّفتـك لما ورائي ، فـارجـع فـاخلفني في أهلي وأهلـك ، أفلا ترضى يـا علي أن تكون مني بمنزلـة هـارون من موسى ؟ إلاّ أنه لا نبيّ بعدي . فرجع عليٌّ إلى المـدينـة المنورة ، ومضى رسول الله على سفره[1] .

☆ ☆ ☆

ورجع أبو خيثمـة (مـالـك بن قيس) إلى أهلـه في يوم حـار ، فوجـد امرأتين لـه في عريشين[2] لهما في بستـان ، قـد رشَّت كلٌّ واحـدة منهما عريشها وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيأت له فيه طعامـاً ، فلمـا دخل فقـام على باب العريشين ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا لـه ، فقـال : رسول الله في الضِّحِّ[3] والريـح ، وأبـو خيثمـة في ظـلال بـاردة ، ومـاء بـارد ، وطعام مُهيَّأ ، وامرأة حسناء في ماله مقيم ! ما هذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحـدة منكمـا حتى ألحق برسـول الله ، فهيِّئـا لي زاداً ، ففعلتا ، ثم قدّم نـاضِحَـه فـارتحلـه ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ ، حتى أدركه حين نزل تبوك .

---

(١) راجع الخبر في : الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٥٢ / ب ، الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٣ ، والسيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٥١ ، والبداية والنهايـة ، جـ ٥ ص ٧ ، والكامل في التـاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٠ ، ابن هشام ، جـ ٤ ص ١٢١ .

(٢) شبيه الخيمة ، يُظَلَّل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٣) الضح : بالكسر وتشديد الحاء ، الشمس . [مختار الصحاح ، ص ٣٧٦] .

وأدرك عميرُ بن وهب الجُمحي في الطريق أَبا خيثمة[1] ، يطلب رسولَ الله ﷺ فترافقا . حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلاعليك أن تخلَّف عني حتى آتي رسول الله ، وهو نازل بتبوك .

وقال الناس : يارسول الله هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أَبا خيثمة ! فقالوا : يارسول الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلما أَناخ أبو خيثمة راحلته ، أقبل فسلّم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسولُ الله : أَوْلى لك ياأبا خيثمة ! ثم أخبر رسولَ الله الخبر ، فقال له رسولُ الله خيراً ، ودعا له بخير .

وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً :

لما رأيتُ الناسَ في الدينِ نافقوا ... أَتيتُ التي كانت أَعفّ وأكرما
وبايعتُ باليمنى يَدِي لمحمدٍ ... فلم أكتسِبْ إثماً ولم أغش مَحْرَما
تركت خضيباً في العريشِ وصرمة ... صفايا كراماً بُسرها قد تَحمَّما[2]
وكنتُ إذا شكَّ المنافِقُ أَسْمَحَتْ ... إلى الدينِ نفسي شَطرَهُ حيث يمّما[3]

---

(١) خيثم وخيثمة وأختم وخثيم كلها أسماء من فعل (ختم) ، وخثم الشيء : عَرَّضه ، والخَثَم : عِرَضُ الأنف ، والأختم : السيف العريض ، [لسان العرب ، جـ ١٢ ص ١٦٥] .

(٢) الصرمة : جماعة النخل ، والبسر : التمر قبل نضجه ، وتحمما : قارب أن يطيب .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٤ ص ١٢٢ . الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٥٢ / ب .

وحين مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجر[1] نزلها ، واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لاتشربوا من مائها شيئاً ، ولاتتوضؤوا منه للصلاة ، وماكان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولاتأكلوا منه شيئاً ، ولايخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ماأمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلي طيئ . فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أُصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيئ ، فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم مثل ماأصابهم[2] .

---

(١) الحجر : قرية صغيرة قليلة السكان في وادي القرى ، وبها كانت منازل ثمود ، [معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٢٠] .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٢ ومابعدها . البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٠ .

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال : نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة[1] ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذي عُذِّبوا ، فقال : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ماأصابهم فلاتدخلوا عليهم » .

ثم قال ﷺ : « لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها . فأخذتهم صيحة أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » قيل : من هو يارسول الله ؟ قال : هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ماأصاب قومه[2] » .



---

(١) ناقة صالح عليه السلام .

(٢) « لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر « ديار ثمود » سجى ثوبه على رأسه ، واستحث راحلته ، وقال : « لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم ماأصابهم » ، وإنما سجى ثوبه على رأسه لأن الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار ، فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب البكاء » السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٥٢ .

مِنْ مُعْجِزَاتِ ٱلْمُصْطَفَىٰ صلى الله عليه وسلم

☆ ﴿ وإن يَرَوا آيـةً يعرضـوا ويقـولـوا سحر مستمر ، وكـــذبـوا واتبعـوا أهـواءهم وكل أمرٍ مستقر ، ولقـد جـاءهم من الأنبـاء مـافيـه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغن النذر ﴾
[القمر : ٢ ـ ٥]

المعجـزة : فرض الله سبحـانـه نـواميس محـدَّدة في الكـون ، لايتجاوزها ، ولايتعدّاها ، ولايستطيع خرقها إنسان ، فهي مفروضة عليه . ولكن الذي فرضها وحـدَّدها قـادر على تغييرها وخرقها ، فهو مسبب الأسباب ، يخرقها آيـاتٍ دالـةً على نبوة الأنبيـاء .. فـالمعجزة : أمر خارق لنواميس الكون بالنسبة للإنسان وقدراته وطاقاته ، ولكنها على الله : (إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون) .

فهو سبحانه الذي خرق البحر لموسى ، وجعل عصاه حية تسعى ، وهو سبحانه الذي جعل النار برداً وسلامـاً على إبراهيم ، وهو سبحـانـه الـذي جعل عيسى يتكلم في المهـد وأنزل عليـه مـائـدة من السماء ، وهو الذي أخرج ناقة صالح ...

وهو سبحانه الذي سيخرق قوانينه لنبيه المصطفى ﷺ ..

☆ في طريق تبوك ، أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يارسول الله ، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟!

فقال رسول الله ﷺ : افعلوا ، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يارسول الله ، إن فعلت قل الظّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فيها البركة ، فقال رسول الله : نعم ، فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف من التمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : « خذوا في أوعيتكم » ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوها ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لاإله إلا الله ، وأني رسول الله ، لايلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة »[1] .

☆ وأصبح المسلمون ولاماء معهم ، وحصل لهم من العطش ماكاد يقطع رقاب الجند ، حتى حملهم ذلك بحر[2] إبلهم ، ليشقّوا أكراشها

---

(١) رواه مسلم ، والإمام أحمد ، راجع البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٠ .

(٢) بَحَرَ أُذن الناقة : شقها وخرقها ، وبابه قطع ، والمعنى هنا : ذبح إبلهم .

ويشربوا ماءها .. فعن عمر رضي الله عنه : خرجنا في حر شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل مابقي على كبده ، أو على صدره ، فشكوا ذلك للنبي ﷺ ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يارسول الله قد عوَّدك الله من الدعاء خيراً ، فادع الله لنا .

قال رسول الله ﷺ مجيباً : أتحب ذلك ؟

قال الصدّيق رضي الله عنه : نعم .

فرفع رسول الله ﷺ يديه بالدعاء ، فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا مايحتاجون إليه .. علماً أن تلك السحابة لم يتجاوز مطرها عسكر المسلمين[1] .

بعد هذه المعجزة .. قام رجل من الأنصار وقال لرجل متَّهم بالنفاق : ويحك .. قد ترى ؟! فقال المنافق : إنما مُطِرنا بنوء كذا وكذا . وفي رواية قال الأنصاري : ويحك .. هل بعد هذا شيء ؟ قال المنافق : سحابة مارَّة ، ﴿ وإنْ يَرَوا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ

(١) وفي رواية : لما شكوا إليه ﷺ شدّة العطش ، قال لَعَلّي لو استسقيت لكم قلتم هذا بنوء كذا وكذا ، فقالوا : يانبي الله ماهذا بحين أنواء ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ، ثم قام فصلى فدعا الله تعالى ، فهاجت ريح ، وثار سَحَاب فمطروا حتى سال كل واد . [السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ١٥٣] .

مستمر ، وكـذَّبـوا واتبعـوا أهـواءهم وكل أمرٍ مستَقِر ، ولقـد جـاءهم من الأنباء مافيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تُغْنِ النُّذُر ﴾[1] .

☆ وضلَّت ناقة رسول الله ﷺ ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجـل من أصحـابـه يقـال لـه عُمَـارة بن حـزم ، وكان عقبياً[2] بـدريـاً ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رَحْلِـهِ زيـد بن لُصَيْب القينقاعي[3] ، وكان منافقاً ، فقال زيد بن لصيب وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس يزعم محمد أنـه نبي يخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدري أين ناقتـه ؟! فقـال رسول الله ﷺ وعُمَـارة عنده : إن رجلاً قال : إن محمداً هذا يخبركم أنه نبي ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لايدري أين ناقته !! وإني والله ماأعلم إلا ماعلمني الله ، وقد دَلَّني الله عليها ، وهي في الوادي من شِعْب كذا وكـذا قـد حبستهـا شجرة بزمامها ، فانطَلِقوا حتى تأتوا بها ، فـذهبوا فجـاؤوا بهـا ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ، فقـال : والله لعجبٌ من شيء حـدثنـاه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة قـائل أخبره الله عنـه كـذا وكـذا ـ الـذي قـالـه

---

(١) سورة القمر ، وهي مكيَّة ، الآيات : ٢ ـ ٥ .

(٢) أي شهد بيعة العقبة .

(٣) في كتـاب المختـار من نوادر الأخبـار (مخطوطـة في الظـاهريـة تحت رقم : ٧٨٤٢) لشمس الـدين الأبياري المقري ، ص : ٦ ، (زيد بن الصيت) ، وكان يهودياً فأسلم ونافق ، والصواب مـاأثبتنـاه أعلاه .

زيد بن لصيب ـ فقال رجل ممن كان في رحل عُمارة بن حزم ، ولم يحضر رسول الله : زيد واللهِ قال هذه المقالة قبل أن تأتِيَ ، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه[1] ، ويقول : ياعباد الله ، واللهِ إن في رحلي لداهية وماأدري !! اخرج ياعدو الله من رحلي فلاتصحبني[2] .

☆ وفقد الجيش الماء ثانية ، فأرسل ﷺ بعض أصحابه يستعرضون الطرق ، وأعلمهم أن عجوزاً تمر بهم في محل كذا وكذا على ناقة معها سقاء ماء ، فقال لهم ﷺ : اشتروا منها بما عز وهان ، وأتوا بها مع الماء . فلما بلغوا المكان إذا بالمرأة ومعها السقاء فسألوها في الماء ، فقالت : أنا وأهلي أحوج إليه منكم ، فسألوها أن تأتي رسول الله ﷺ مع الماء ، فأبت ، وقالت : من هو رسول الله لعلّه الساحر ؟ وفي رواية : « الذي يقال له الصابئ ، خير الأشياء أني لا آتيه » قالوا : أين الماء ؟ قالت : بينكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة .. فشدُّوها وثاقاً ، وأتوا بها رسول الله ﷺ ، فقال لهم : خلّوا سبيلها ، وقال : أتأذنين لنا في الماء ولتصبن وعاءك كما جئت به ؟ فقالت : شأنكم ، فقال ﷺ لأبي قتادة : هات الميضأة ، فقربت إليه ، فحل السقاء ، وصب في الميضأة

---

(١) أي يطعنه في عنقه .

(٢) ورد أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقيل : لم يزل متهماً بشر حتى هلك .. البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٩ ، الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٦ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٣ ، السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٥٣ .

ماء قليلاً ، مع قليل من ريقه الشريف ، ثم وضع يده الشريفة فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا . فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ماتركوا إناء إلا ملؤوه ، ورووا إبلهم وخيلهم ، ثم أمر الناس أن يملؤوا آنيتهم وأسقيتهم ، ثم قال ﷺ للمرأة : تعلمي والله مارزأنا من مائك شيئاً ، ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا .

وأخبرت المرأة أنها مؤتمة[1] ـ لها صبيان يتيمان ـ فقال ﷺ : هاتوا ما عندكم ، فجمعوا لها من كسر وتمر ، وصرتها صرة ، ثم قال لها : اذهبي فأطعمي هذا عيالك . وعجبت بما رأت ، ولما قدمت على أهلها ، قالوا لها : لقد احتبست علينا . قالت : حبسني أني رأيت عجباً من العجب ، أرأيتم مزادتيَّ هاتين ، فوالله لقد شرب منها قريب من سبعين بعيراً ، وأخذوا من القرب والمزاد وأطهار ما لا أُحصي ، ثم هما الآن أوفر منها يومئذ . فلبثت شهراً عند أهلها ثم أقبلت في ثلاثين راكباً على رسول الله فأسلمت وأسلموا[2] .



---

(١) مؤتمة : أي تربي أيتاماً .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٥٨ وما بعدها .

☆ ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلَّف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلَّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكُ فيه خير فسيُلْحِقه الله بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ! تخلَّف أبو ذر وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فَسَيُلْحِقُه اللهُ بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

وتمهل أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظره ناظِرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر ! فلما تأمَّله القوم : قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذر ! فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله أبا ذر ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وصدقت نبوءة رسول الله ﷺ ، فلما مات أبو ذر [جندب بن جنادة] سنة ٣٢ هـ في الرَّبَذة . لم يكن معه أَحدٌ إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غَسِّلاني وكفِّناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل

عبـد الله بن مسعـود ورهـطٌ من أهـل العراق عُمَّـاراً[1] ، فلم يَرُعْهم إلا بجنـازة على الطريق ، قـد كادت الإبل تطؤهـا ، وقـام إليهم الغـلام ، فقال : هـذا أبو ذر صـاحب رسول الله ، فـأعينونـا على دفنـه ، قـال : فاستهل عبـد الله بن مسعود يبكي ، ويقول : صـدق رسول الله ! تمشي وحـدك ، وتمـوت وحـدك ، وتبعث وحـدك ، ثم نـزل هـو وأصحـابـه فوارَوْه[2] .

☆ وقـال رهـط من المنـافقين يسيرون مع رسـول الله ﷺ ، وهـو منطلق إلى تبوك ، منهم : وديعة بن ثابت ، ومَخشيّ بن حُمَيِّر ، قـال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم !؟! والله لكأني بكم غـداً مُقَرَّنين في الحبـال ، قـال المنـافقـون ذلـك إرجـافـاً وترهيبـاً للمؤمنين .

قـال مخشي بن حميّر : والله لَـوَدِدتُ أني أُقـاضي على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأن ننفلت أن يُنزل الله فينا قرآناً لمقالتكم هذه ، وقـال رسـول الله ﷺ لعمار بن يـاسر : أدرك القـوم ، فـإنهم قـد احترقـوا[3] ، فسلهم عمـا قـالـوا ، فـإن أنكروا فقـل : بلى قـد قلتم كـذا

---

(١) يقصدون مكة المكرمة لأداء العمرة .

(٢) السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ١٥٣ ، السيرة النبـويـة لابن هشـام ، جـ ٤ ص ١٢٤ ، الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٧ ، البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٥ ص ٨ ، وعيـون الأثر ، جـ ٢ ص ٢١٩ ، الاكتفـاء ، جـ ١ ص ١٥٣ / ١ .

(٣) أي هلكوا ، وفي رواية « اخترقوا » .

وكذا ، فانطلق إليهم عمار ، فقال لهم ذلك ، فأتوا رسول الله يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو بِحَقَبها[1] : يارسول الله ، كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورةٌ تنبئهم بما في قلوبهم قل استَهْزِئوا إن اللهَ مُخْرِجٌ ماتحذرون ، ولئن سألتَهُم ليقولُنَّ إنما كنا نَخُوضُ ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفةٍ منكم نعذب طائفة بأنَّهم كانوا مجرمين ﴾[2] .

وقال مخشي بن حميِّر : يارسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبي ، فكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الاية مخشي بن حميِّر ، فسمي عبد الرحمن ، وسأل الله عز وجل أن يقتله شهيداً لايُعلم مكانه ، فقتل يوم اليمامة[3] فلم يجد أحد له أثراً .

وقبل الوصول إلى تبوك استرقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، فقال ﷺ : « ألم أقل لك يابلال اكلأ لنا

---

(١) حبل يشد على بطن البعير .

(٢) سورة التوبة ، الآيات الكريمة : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سنة ١٢ للهجرة ، واليمامة في شرق الجزيرة العربية ، بينها وبين البحرين عشرة أيام . (وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر) . معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٤٤١ .

الفجر ؟ » . فقال بلال : يارسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك . فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد ، ثم صلى وسار بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك[١] .

في تبوك

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يُحَنَّة بن رُؤبة ، صاحب أَيْلَة[٢] ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً ، وكتب ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أَمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر »[٣] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٣ ، السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٥٦ .

(٢) أَيْلَة : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم (البحر الأحمر) ، [وهي في أعلى خليج العقبة] ، وهي آخر الحجاز وأول الشام . [معجم البلدان ، جـ ١ ص ٢٩٢] .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٦ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٣٥ .

وكتب لأهل جرباء وأذرح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا كتـاب من محمـد النبي رسـول الله لأهل جربـاء وأذرح ، أنهم آمنون بـأمـان الله وأمـان محمـد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومـائـة أوقيـة طيبـة ، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين »[١] .

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد رضي الله عنه[٢] ، فبعثـه إلى أُكَيْـدِر بن عبـد الملـك ـ وهو في دومـة الجنـدل[٣] ـ وهو رجل من كِنْـدة ، كان ملكاً يعتنـق النصرانيـة ، فقـال رسـول الله ﷺ لخـالـد : « إنك ستجده يصيد البقر » ، فخرج خالد بن الوليـد حتى إذا كان من حصن أكيـدر بمنظر العين ، وفي ليلـة مقمرة صـائفـة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأتـه ، فبـاتت البقر تَحُـكُّ بقرونهـا بـاب قصره ، فقـالت امرأته : هل رأيتَ مثل هذا قط ؟!

قال أكيدر : لا والله .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٧ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٣٥ .

(٢) في طبقـات ابن سعـد ، جـ ٢ ص ١٦٦ ، « فبعث رسول الله ﷺ خـالـد بن الـوليـد في أربعمائـة وعشرين فارساً » .

(٣) دومة الجندل : (بفتح أولـه وضمـه) : [حصن وقرى بين الشـام والمـدينـة قرب جبلَيْ طيِّئ] ، راجع المصَور . معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٤٨٧ .

قالت امرأته : فمن يترك هذا ؟

قال : لا أحد .

فنزل فأمر بفرسه فأُسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له حسَّان ، فركب وخرجوا معه بمطاردتهم ، فلما خرجوا تلقَّتهم خيل المسلمين بقيادة خالد بن الوليد فأخذته ، وقتلوا أخاه حسَّان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مُخَوَّصٍ بالذهب(١) ، فاستلبه خالد ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه .

قال أنس بن مالك : رأيتُ قباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجَّبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد بن معاذ(٢) في الجنة أحسنُ من هذا .

---

(١) ورد في الحديث الشريف : « مَثَلُ المرأةِ الصالحة مَثَلُ التاجِ المُخَوَّص بالذهب » .. وتخويص التاج : مأخوذ من خُوصِ النخل (ورق النخل) يجعل له صفائح من الذهب على قدر عَرْض الخوص ، لسان العرب ، جـ ٧ ص ٣١ .

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس .. الأنصاري الأوسي الأشهلي . أسلم على يد مصعب بن عمير لما ارسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلِّم المسلمين ، فلما أسلم قال لبني عبد الأشهل : (كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تُسْلِموا) ، فأسلموا ، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام ، أُصيب بسهم يوم الخندق ، ولم يستشهد حتى حكم في بني قريظة ، [أُسد الغابة ، جـ ٢ ص ٣٧٣] .

ثم حقن رسول الله ﷺ دم أُكيدر ، وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى بلدته ، فقال رجل من بني طيّئ يقال له بجير بن بجرة في ذلك :

تباركَ سائِقُ البقراتِ إنّي ... رأيتُ اللهَ يَهْدي كُلَّ هادِ
فَمَن يَكُ حَائِداً عن ذي تبوكٍ ... فَإنا قَدْ أُمِرْنا بالجِهَادِ

قال البيهقي : إن رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر : « لا يفضض الله فاك » ، فأتت عليه سبعون سنة ما تحرك له فيها ضرس ولا سن[1] .



ومن أحداث تبوك

١ ـ وادي المشقّق :

كان في الطريق إلى تبوك ماء يخرج من وشل[2] ، ما يروي الراكب والراكِبَيْن والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادي المشقّق ، فقال رسول

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٧ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٥٣

(٢) الوشل : الماء القليل يسيل من صخر أو جبل .

الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ، فسبق إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتـاه رسول الله ﷺ وقف عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنـا إلى هـذا المـاء ؟ فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان ، فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئـاً حتى آتيه ؟! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يـده مـا شـاء الله أن يصب ، ثم نضحـه به ، ومسحه بيده ، ودعـا رسول الله ﷺ بمـا شـاء الله أن يـدعو بـه ، فـانخرق من المـاء مـا إن لـه حسـاً كحس الصواعـق ، فشرب النـاس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديـه ومـا خلفـه . وهكـذا كان .

٢ ـ ذو البجادين :

حدَّث عبد الله بن مسعود فقـال : قمت من جوف الليل ، وأنـا مع رسـول الله ﷺ في غـزوة تبـوك ، فرأيت شعلـة من نـار في نـاحيـة العسكر ، فاتبعتها أنظر إليهـا ، فـإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين[1] المزني قد مـات ، وإذا هم قـد حفروا لـه ،

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٧ ، قال ابن هشام : وإنما سمي ذا البجادين ، لأنـه كان ينـازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، والبجـاد

ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو يقول : أدنيا إليّ أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقِّهِ ، قال : اللهم إني أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه .

قال عبد الله بن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

٣ ـ حديث أبي رهم (كلثوم بن الحصين) :

أبو رهم : من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، قال : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ، وألقى الله علينا النعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ ، فيفزعني دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز[1] راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله : حس[2] ،

= الكساء الغليظ الجافي . فيضرب منهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين . فأتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقيل له : ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضاً : المسح ، قال امرؤ القيس :

كأن أبانا في عرانين ودقه   كبير أُناس في بجاد مزمل

(١) أحوز : أبعد .

(٢) حس : كلمة تقال عند وجود الألم . فهي كلمة تخرج من الصوت كالأنين ، ليست اسماً أو اسم فعل مثل : صه ومه .

فقلت : يـا رسـول الله ، استغفر لي ، فقـال : سر ، فجعـل رسـول الله ﷺ يسألني عمن تخلَّف من بني غِفَار ، فأخبره به ، فقال وهو يسألني : مـا فعـل النفر الحمر الطـوال الثطـاط[1] ؟ فحـدَّثتـه بتخلُّفهم ، قـال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : والله ما أعرف هؤلاء منـا ، قال : بلى ، الذين لهم نعم بشبكة شدخ[2] ، فتذكرتهم في بني غفـار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنَّهم رهـط من أسلم كانـوا حلفــاء فينـــا . فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهـط من أسلم ، حلفـاء فينـا ، فقـال رسول الله ﷺ : « مـا منع أحـد أولئـك حين تخلف أن يحمـل على بعير من إبلـه امرءاً نشيطاً في سبيل الله ؟ إن أعز أهلي عليّ أن يتخلّف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأُسْلَم »[3] .



أقـام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلـة بتبـوك[4] ، ولم يجـاوزهـا . واستشار ﷺ أصحابه في أن يجاوزها إلى ما وراءهـا من ديـار الشـام ،

---

(١) الثطاط : مفرده ثط ، وهو صغير نبات شعر اللحية .

(٢) شبكة شدخ : موضع من بلاد غفار .

(٣) السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٩ .

(٤) في طبقـات ابن سعـد ، جـ ٢ ص ١٦٨ : (غزا رسول الله ﷺ تبـوكاً ، فـأقـام بهـا عشرين ليلـة يصلي بها صلاة المسافر) .

بعد أن تحصَّن الروم في قلاعهم حين بلغهم أمر هذا الجيش وقوته ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، إن كنت أُمرت بالسير نسر . فقال ﷺ : لو كنت أُمرت بالسير لم أستشر فيه ، فقال : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام ، وقد دنوت منهم ، وقد أفزعهم دُنُوُّك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى ، أو يحدث الله أمراً . فتبع رسول الله ﷺ مشورة عمر ، وأمر بالقفول .

☆ ☆

مِنْ تَبُوك إِلى ٱلمَدِينَة

☆ « ألا أخبركم بخير النـاس وشر الناس ؟ إن من خير النـاس رجلاً عمل في سبيـل الله على ظهر فرسـه أو على ظهر بعيره أو على قدميـه حتى يـأتيـه المـوت ، وإن من شر النــاس رجـلاً فـاجراً جريئـاً يقرأ كتـاب الله لا يرعوي إلى شيء منه » [1] .

محمد رسول الله

وقفـل رسـول الله ﷺ من تبـوك إلى المـدينـة ، فهم جمـاعـة من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق ، فـأُخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادي ، وصعد هو العقبة وسلكها معـه أولئـك النفر وقـد تلثمـوا ، وأمر رسـول الله ﷺ عمـار بن يـاسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمار آخذ بزمـام النـاقـة ، وحـذيفـة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بـالقوم قـد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ وأبصر حذيفة غضبـه ، فرجع إليهم ومعـه محجن [2] ، فـاستقبل

---

(١) رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٢ / ١٣ .

(٢) المحجن : كالصولجان .

وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ماأضمروا من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ، ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » . قال : ماعرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم ، ثم قال : « علمتما ماكان من شأن هؤلاء الركب ؟ » ، قالا : لا ، فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك . فقالا : يارسول الله أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وذكر ابن إسحاق هذه القصة ، إلا أنه ذكر أن النبي ﷺ إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده ، وهذا هو الأرجح ، ويشهد بذلك قول أبي الدرداء : أليس فيكم صاحب السر الذي لايعلمه غيره ، يعني حذيفة . ويشهد بذلك أيضاً سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة : أقسمت عليك بالله أنا منهم ؟ - أي من المنافقين - فيجيب حذيفة : لا ، ولاأبرئ بعدك أحداً ، يعني حتى لايكون مُفشِياً سر النبي ﷺ .

وروى البيهقي حديثاً عن حذيفة بن اليمان ، قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة ، حتى إذا كنا

بالعقبة إذا باثني عشر رجلاً قد اعترضوه فيها ، قال : فأُنْبَهت رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولّوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله : « هل عرفتم القوم ؟ » ، قلنا : لايارسول الله ، قد كانوا متلثمين ، ولكنا قد عرفنا الركاب ، قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ماأرادوا ؟ » قلنا : لا ، قال : « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها » ، قلنا : يارسول الله أَوَلا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل لقومه ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » ، ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة[1] » ، قلنا : يارسول الله ومالدبيلة ؟ قال : « هي شهاب من نار تقع على نياط قلب أحدهم فيهلك »[2] .

وفي مسند الإمام أحمد : لما مرّ رسول الله ﷺ بوادي القرى ، فإذا امرأة في حديقة لها ، فقال رسول الله ﷺ : « اخرصوا »[3] ، فخرص القوم ، وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة : « احصي مايخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » .

---

(١) الدُّبَيْلَة لغة : الداهية ، يقال : دبلتهم الدُّبيلة أي أصابتهم الدّاهية .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٣) أي قَدّروا .

وفي طريق العودة ، أقبـل رسـول الله ومن معـه حتى وصـل وادي القرى ، فقال ﷺ للمرأة : « كم جاءت حديقتك ؟ » ، قـالت : عشرة أوسق خرص رسول الله .

ثم قــال ﷺ : إني متعجّـل فمن أحب منكم أن يتعجـل فليفعـل ، حتى إذا أوفى على المدينة المنوَّرة قال : « هذه طابـة » . فلما رأى أُحُـداً قال : « هذا أُحُد يحبُّنا ونحبُّـه ، ألا أخبركم بخير دور الأَنصـار ؟ قـالوا : بلى يـارسول الله ، قـال : « خير دور الأَنصـار بنو النجـار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كل دور الأَنصار خير »[1] .

وفي تبــوك .. جمــع النبي ﷺ بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، جمع تقديم ، أو جمع تأخير .

وفي تبـوك .. صلى رسـول الله ﷺ خلف عبـد الرحمن بن عـوف صـلاة الصبـح . عن المغيرة بن شعبـة قـال : كنـا بين الحجر وتبـوك ، ذهب ﷺ لحاجـة بعـد الفجر ، وتبعتـه بمـاء ، فـأبطـأ . فقـدَّموا عبـد الرحمن بن عوف ، فصلى بهم ، فانتهى رسول الله ﷺ بعد أن توضـأ إلى عبـد الرحمن بن عـوف وقـد صلّى ركعـة ، فصلى رسـول الله مـع عبــد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية ، وقال لهم بعد فراغه : أحسنتم أو أصبتم ، ثم قال : « لم يتوف نبي حتى يؤمَّه رجل صالح من أُمته » .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٢٢ .

وهذا لا ينافي أنه ﷺ صلى خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لم يصل خلف أحد من أُمته إلا خلف أبي بكر ، والمراد صلاة كاملة .

وكان النبي ﷺ يستخلف أبـا بكر رضي الله عنـه على عسكره ، يصلي بـالنـاس[1] ، فلعل ذلـك في بعض الأيـام ، فلاينـافي صلاة عبـد الرحمن بن عوف بهم في هـذا اليوم ، أو أنـه كان يصلي مع أبي بكر رضي الله عنـه بعض القوم ، ومـع النبي ﷺ بعض لكثرة القـوم ، فلمـا تـأخر ﷺ في قضاء حاجته صلى عبـد الرحمن بن عوف بـالـذين كانوا يصلون مع النبي ﷺ[2] .



---

(١) واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر ، السيرة الحلبية جـ ٣ ص ١٥٢ .

(٢) السيرة الحلبية ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٧١ .

مسجد الضرار

«مَسْجِدُ الشِقَاقِ»

☆ ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلِفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لاتقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يوم أَحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهَّروا والله يحب المطَّهِّرين أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم ، والله لايهدي القوم الظالمين ، لايزال بنيانهم الذي بَنَوْا ريبةً في قلوبهم إلاّ أن تقطَّع قلوبُهُم ، والله عليم حكيم ﴾ .

[التوبة : ١٠٧ ـ ١١٠]

دعا النبي ﷺ أبا عامر الراهب إلى الإسلام ، فأبى ، وبعد بدر الكبرى ذهب أبو عامر إلى مكة يستحث قريشاً على قتال النبي الكريم ، وكانت أُحُد ، ولكنها لم تحقق ماأراده المشركون والمنافقون ، من قتل النبي ﷺ ، وإنهاء انتشار الإسلام . فذهب أبو عامر الراهب وهو في غاية الحقد ، ولهيب الحسد الذي أكل قلبه وهو يرى الإسلام ينتشر بين القبائل ، ذهب إلى هرقل قيصر الروم يستنصره على رسول الله ﷺ ، لأنه على دينه ، فهو ممن تنصَّر من العرب .

آوى هرقل أبا عامر ومنّاه ، فكتب أبو عامر إلى شيعته الذين نافقوا يعدهم ويمنّيهم بدوره[1] فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم في المدينة المنورة كل حين . وأمرهم فبنوا صورة مسجد قريباً من مسجد قُبَاء ، فبنوه . وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . قالوا هذا ، كي يروج لهم ماأرادوه من الفساد والكفر والعناد والنفاق والشقاق .

وعدهم رسول الله ﷺ : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه[2] .

بنى المنافقون هذا المسجد[3] في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حرب ، ومقر لمن يفد من عند أبي عامر الراهب ، ومجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين .

---

(١) في (السيرة الحلبية) جـ ٣ ص ١٦٤ : « أبو عامر الراهب الذي سماه النبي ﷺ فاسقاً ، هو الآمر لهم ببنائه ، فقال لهم : ابنوا لي مسجداً واستمدوا مااستطعتم من قوة وسلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأُخرج محمداً وأصحابه من المدينة » .

(٢) أو كما قال ﷺ . الطبري ، جـ ٣ ص ١١١ .

(٣) بنى المنافقون مسجد الضرار بموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات .

وأقبل رسول الله ﷺ من تبوك ، ونـزل بـذي أَوَان[1] ، وعصم الله عز وجل نبيَّـه عن القيـام فيـه كي لا يقرر أمره ، ويعترف بواقع ، فهـو مسجد الضرار ، والضرار محاولة الضر بالإسلام والمسلمين ، وبُني تفريقـاً وتشتيتاً للجماعة ، ولأنهم لن يصلوا خلف رسول الله ﷺ فيفرّقوا كلمـة المسلمين ، مما يؤدي إلى اختلاف الكلمة ، وبطلان الأُلفـة ، فهو مسجـد الشقاق ، وإرصـاداً لمن حـارب الله ورسولـه من قبل أبي عـامر الراهب الفاسق ، وهو مسجد الكفر بالنبي ﷺ وبما جاء به .

ومن ذي أَوَان أرسل النبي ﷺ مالكَ بن الدُّخشُم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عديّ ، أو أخاه عـاصم بن عـديّ أخـا بني العَجْلان ، قائلاً لهما : انطلقا إلى المسجد الظالم أهله فـاهـدمـاه وحرِّقـاه . فخرجـا سريعين حتى أَتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدُّخشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتـدَّان حتى دخلا المسجد وفيه أهلـه ، فحرَّقـاه وهـدّمـاه ، وتفرّقوا عنـه ، ونزل فيهمَ من القرآن الكريم قـولـه تعـالى : ﴿ والـذين اتخـذوا مسجـداً ضراراً وكفراً وتفريقـاً بين المـؤمنين وإرصـاداً لمن حـارب الله ورسـولـه من قبـل ، وليحلِفُنَّ إن أردنـا إلا الحسنى ، والله يشهـد إنهم لكاذبـون . لاتقم فيـه

(١) بلد بينه وبين المدينة المنورة ساعة من نهار .

أبداً ، لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهَّروا والله يحب المطَّهِّرين ، أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمْ مَنْ أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القومَ الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذي بَنَوْا ريبةً في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قلوبُهُم والله عليم حكيم ﴾[1] .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً :

١ ـ خِذام بن خالد ، من بني عُبَيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق .

٢ ـ ثعلبة بن حاطب ، من بني أُمية بن زيد .

٣ ـ مُتَعِّب بن قُشَير ، من بني ضبيعة بن زيد .

٤ ـ أبو حبيبة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد .

٥ ـ عُبّاد بن حُنيف ، أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف .

٦ ـ جارية بن عامر ، وابناه :

٧ ـ مجمع بن جارية .

٨ ـ زيد بن جارية .

٩ ـ نَبْتَل بن الحارث ، من بني ضبيعة

---

(١) سورة التوبة ، الآيات الكريمات : ١٠٧ ـ ١١٠ .

١٠ ـ بحزَج من بني ضبيعة .

١١ ـ بجاد بن عثمان ، من بني ضبيعة .

١٢ ـ وديعة بن ثابت ، من بني أمية بن زيد[(١)] .

☆ ☆ ☆

ذكرت الآية الكريمة تصف مسجد قُبَاء ـ الذي بُني مسجد الضرار بقربه لينافسه ـ : ﴿ فيه رجالٌ يحبون أن يتطهَّروا والله يحب المطَّهِّرين ﴾ . قال المفسِّرون « يتطهَّروا » يعني أن المسلمين روّاد مسجد قُباء ، يستخدمون الحجر والماء في استنجائهم ، وهذا تفسير حسن وصحيح وواقعي . ولكن هذا كان يفعله كل المسلمين آنذاك ، فالرأي الأكمل والمتِّم لما قاله المفسِّرون ، « يتطهَّروا » فيه طهارة النفس وتزكية الروح بذكر الله ، وبصحبة رسول الله علماً وفقهاً . « فيه » ، ليس في المسجد استنجاء وطهارة جسد ، فهذا يتم في منازل المسلمين وفي البوادي والوديان ، « فيه » طهارة القلب من التعلق بما سوى الله ، وطهارة النفس من رذائلها ، وسمو بالروح إلى خالقها .



(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٢٩ ، البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٢٢ ، الطبري ، جـ ٣ ص ١١٠ .

الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا

☆ ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت وضاقت عليهم أنْفُسُهُم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

[التوبة : ١١٧ و ١١٨] .

عاد رسول الله ﷺ من تبوك ، وكان قد تخلَّف عنه رهط من المنافقين ، فأتوه فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ حكماً بالظاهر ، ولكن الله عز وجل أنزل : ﴿ رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾[١] . وأنزل سبحانه : ﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى اللهُ عملكم ورسوله ثم تردّون إلى عالم الغيب

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٨٧ .

والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجْسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسِبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن اللهَ لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾[1] .

وتخلَّف ثلاثة من المسلمين اعترفوا بذنبهم ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أُمية . لم يتخلَّفوا عن نفاق ، بل خفتت جذوة الإيمان في قلوبهم إلى حين ، ثم أضاءت بشكل صحيح سليم . والخير في نفوسهم كامن ، ودليله اعترافهم بذنبهم عند عودة رسول الله ﷺ .

يروي كعب بن مالك[2] : لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٢٣ وما بعدها ، السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٤ ص ١٢٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٦٥ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٢٢٣ .

أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة ـ في تبوك ـ ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وعدداً وعداداً كثيرة ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ فما رجل يريد أن يتغيَّب إلا ظن أن يستخفي له ما لم ينزل فيه وحي الله .

وغزا رسول الله ﷺ ـ غزوة تبوك ـ حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعد يوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ، ثم رجعت ، ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من

الضعفـاء ، ولم يـذكرني رسـول الله ﷺ حتى بلـغ تبـوك ، فقـال وهـو جـالس في القوم بتبوك : « مـا فعل كعب ؟ » ، فقـال رجـل من بني سلمة : يـا رسول الله حبسـه برداه ونظره في عطفيـه ، فقـال معـاذ بن جبل : بئس مـا قلت ، والله يـا رسول الله مـا علمنـا عليـه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ .

فلمـا بلغني أن رسول الله تـوجَّـه قـافـلاً ، حضرني همي ، وطفقت أتـذكر الكـذب ، وأقول بمـاذا أخرج غـداً من سخطـه ، واستعنت على ذلـك بكل ذي رأي من أهلي ، فلمـا قيل : إن رسول الله ﷺ قـد أظل قادمـاً ، زاح عني البـاطل ، وعرفت أني لن أخرج منـه أبـداً بشيء فيـه كذب ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، فكان إذا قـدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيـه ركعتين ، ثم جلس للنـاس ، فلمـا فعل ذلك جاء المخلَّفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمـانين رجـلاً ، فقبـل منهم رسـول الله ﷺ عـلانيتهم ، وبـايعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله عـز وجـل . فجئتـه ، فلمـا سلمت عليه تبسَّم تبسم المغضب ثم قال : « تعال » ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ماخلَّفـك ؟ ألم تكن قـد ابتعت ظهرك ؟ » ، فقلت : بلى إني والله لو جلست عنـد غيرك من أهـل الـدنيـا لرأيت أن سـأخرج من سخطـه بعـذر ، ولقـد أُعطيت جـدلاً ، ولكني والله لقـد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى بـه عني ، ليوشكن الله أن

يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لاوالله ماكان لي من عذر ، ووالله ماكنت قط أقوى ولاأيسر مني حين تخلَّفت عنك ، فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » .

ويقول كعب : فقمت ، فثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلَّفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله مازالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ماقلت ، وقيل لهما مثل ماقيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أُمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أُسوة ، فمضيت حين ذكروهما .

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلّف ، فاجتنبنا الناس وتغيَّروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني

أحـد ، وآتي رسول الله ﷺ فـأُسلم عليـه وهو في مجلسـه بعـد الصـلاة ، وأقـول في نفسي : هـل حرك شفتيــه برد الســلام علي أم لا ؟ ثم أُصلي قريباً منه ، فأُسـارقـه النظر ، فـإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحـوه أعرض عني ، حتى إذا طـال علي ذلــك من جفـوة النــاس مشيت حتى تسـورت جـدار حـائـط أبي قتـادة ـ وهـو ابن عمي وأحب الناس إليّ ـ فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام ، فقلت : ياأبـا قتـادة أنشـدك بـالله هـل تعلمني أحب الله ورسـولـه ؟ فسكت ، فعـدت لــه فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففـاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

يقول كعب : وبينا أنـا أمشي بسوق المـدينـة إذ نبطي من أنبـاط أهـل الشـام ممن قـدم بطعـام يبيعـه بـالمـدينـة يقـول : من يـدلني على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون لـه ، حتى إذا جـاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسّان[1] ، فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبـك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولامضيعة ، فالحق بنـا نُواسِـك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضـاً من البلاء ، فتيممت بهـا التنور فسجرتـه[2] بها ، فأقمنا على ذلـك حتى إذا مضت أربعون ليلـة من الخمسين إذا رسول

---

(١) وهو إما الحرث بن أبي شمر أو جبلة بن الأيهم (السـيرة الحلبية ، جـ ٣ ص ١٦٥) .

(٢) سَجَر التنُّور : أحماه ، والمراد هنا : ألقيته فيها .

رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : رسول الله يـأمرك أن تعتزل امرأتـك ، فقلت : أُطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولاتقربهـا ، وأرسل إلى صـاحبيّ بمثل ذلـك ، فقلت لامرأتي : الحقي بـأهلـك فكوني عنـدهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

ويقـول كعب : فجـاءت امرأة هـلال بن أُميـة إلى رسـول الله فقالت : يـارسول الله إن هلال بن أُميـة شيخ ضـائع ليس لـه خـادم ، فهل تكره أن أخدمـه ؟ قـال : « لا ولكن لايقربـك » ، قـالت : إنـه والله مابه حركة إلى شيء ، والله مـازال يبكي منـذ كان من أمره مـاكان إلى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتـك كما استأذن هلال بن أُمية أن تخدمه ، فقلت : والله لاأستأذن فيهـارسول الله ، ومايدريني مايقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شـاب . قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنـا خمسون ليلـة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا . فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحـال التي ذكر الله عـز وجـل : ﴿ حتى إذا ضـاقت عليهم الأرضُ بمـا رحبت ، وضـاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليـه ، ثم تـاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التـواب الرحيم ﴾[1] ، سمعت صـوت صـارخ أوْفى على جبـل

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ١١٨ .

سلع يقول بأعلى صوته : ياكعب أبشر ، فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله للناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشّرون ، وركض رجل إليّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ماأملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني .. فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أُمك » ، قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا ، بل من عند الله » ، وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يارسول الله إن من توبتي أنْ أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله : « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ، قلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يارسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أتحدث إلا صدقاً مابقيت ، فوالله

ماأعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلاني ، ماشهدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم[1] . وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ... ﴾ ، فوالله ماأنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لاأكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا . فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ماقال لأحد ، قال الله تعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾[2] .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له ؛ فعذرهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ ، ليس الذي ذكر الله مما خلفنا من الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منهم .

☆ ☆ ☆

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ١١٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٩٥ .

تعليق

كانت غزوة تبوك آخر غزواته ﷺ ، نزلت بحقها سورة كاملة في كتاب الله ، هي سورة التوبة ، وفيها قصة ثلاثة من المسلمين دعوا إلى تبوك فتخلَّفوا بسبب عدم نضج إسلامهم ، لأن المسلم الناضج هو الذي ترجح في قلبه مصلحة الإسلام على مصلحته الشخصية ، ترجح مصلحة دينه على مصلحة دنياه .

تبوك .. درس عظيم في الصبر والطاعة ، والصبر فرع من فروع الإيمان ، وهؤلاء الثلاثة خفتت جذوة الإيمان في نفوسهم ، فتخلَّفوا وآثروا الظل على الشمس ، والراحة على التعب ، والظلال والماء البارد تحت ظلال النخيل على حرارة الشمس في صحراء الجزيرة العربية .

ثلاثة تخلَّفوا من مجموع جُنْدٍ قدره ثلاثون ألف جندي ، وهذا مستوى رفيع عظيم من التربية ، وهؤلاء الثلاثة لم يرسبوا في امتحان صعب ، بل نَقْصُ الإيمان سبب تقصيراً سيكتمل فيما بعد .. فهم مصلُّون صائمون مزكُّون ، يحبون الله ورسوله ، ولكنهم تقاعسوا عن الجهاد ، لا في كل الغزوات ، بل في غزوة واحدة فقط .. فالإسلام أعطى أُمة

العرب ـ وخلال عشرين سنة فقط ـ أعظم وأروع النتائج ، كل ذلك بأقل وأقصر الأوقات ، وبأقل وأبسط العطاءات .

تخلَّف ثلاثة جنود عن المعركة ، فأصدر القضاء الإسلامي حُكْمَهُ بحقهم ، حكم لم ينص على عقوبة جسدية ، ولا سجن ، ولا ضرب أو إهانة ، ولا مصادرة مال .. حكم لطيف .. ألاَّ يكلمهم أحد ، فأية محكمة عسكرية في الدنيا تحاكم جنوداً تخلَّفوا عن المعركة بأرقى وأرق وأكرم من هذه المعاملة الإنسانية للجندي ؟!

حتى زوجاتهم ، ابتعدن عنهم ، فالزوجة أضحت مرتبطة بالإسلام أكثر من ارتباطها بزوجها وجسدها .

ثلاثة تخلَّفوا .. فانقلبوا من التقصير إلى التوبة وصدق العزيمة ، يبكون تخلُّفهم .. فقُبِلَت توبتهم بعد أن غسلوا ذنوبهم بدموعهم واستغفارهم ، بعد أن أقلعوا عن الذنب بالندم . وفي الإسلام لا عقدة ذنب تلازم العبد وتطارده ، يتوب الله ويغفر إن أقلع العبد عن المعصية ، واتجه إلى الطاعة ، واتجه من الذلة إلى الاستغفار ، ويرجع القلب إلى الله سبحانه إقبالاً واعتكافاً في محراب الإيمان ، ليستقي أنوار الله وحكمته وهدايته .. فيكتمل الإيمان وينضج ، وترجح في قلبه ثانية مصلحة دينه وعقيدته على مصلحة نفسه وراحتها ، وترجح من جديد في روحه وقلبه مرضاة الله على مرضاة ما سواه .

الثلاثة الذين خُلِّفوا بغير عذر يمثِّلون :

١ ـ النكول عن أداء الواجب المفروض على كل قادر في الأُمة .

٢ ـ والخور والتمييع في الساعة الحرجة ، والوقت العصيب ، مع سقوط الهمة في جلائل الأعمال وعظائم الأمور .

٣ ـ ويمثِّلون العجز والخور والخمول عند بعد الشقة .

وكان امتحانهم في تبوك ، في زمن عسرة ، والقاعدة العامة للأمة الإسلامية أنها أقوى روحاً من العسرة ، وأصلب عوداً من الشدة . فكان ذنبهم في تخلُّفهم ، فوقعوا في ذنب ، وذنب عظيم ، ولكنه مع الصدق والتوبة الصادقة لا يعني الهلكة ..

ثلاثة تخلَّفوا فجعلوا نصب أعينهم : أن الأعذار الكاذبة لا يقبلها الإسلام ، قد ترضي العبد ، ولكنها لن ترضي الله . فمراقبته عز وجل أقوى ، وتقواه أعمق ، والرجاء في ذاته سبحانه أوثق .. اعترفوا بذنبهم .. فجاء الحكم في مقاطعتهم ، ولو أمرهم النبي ﷺ بطلاق زوجاتهم لفعلوا .. وبقوا ينتحبون على ذنبهم أطراف النهار وآناء الليل ، وتجاوب المجتمع مع المقاطعة ، فأي شعب راقٍ يلتزم ويتَّبع وينفذ قوانين دولته بهذه الدقة ، وبهذا الاستيعاب ؟! كل ذلك برقيب من الذات .. حتى الزوجة .. حزم وقناعة وإخلاص في تنفيذ حكم

رسول الله . فعشرون سنة فقط ، مع ثقافة السماء ، جعلت من الشعب ﴿ خير أُمة أخرجت للناس ﴾ بهذه الأخلاق ، وبهذه القيم ، وبهذا الالتزام .

وجاءت رسالة ملك غسَّان إغراء لكعب - ولزملائه - وكانت النتيجة إحراقها في التنور ، فهي أتفه من أن تحرك اتجاهاً يعادي الإسلام عند الثلاثة ، فالتوبة الصادقة هي الدواء الصحيح لذنب التخلُّف ، ولن يعالج الخطأ بخطأ ، ولن يمحى ذنب بذنب آخر .. فكانت توبتهم درساً في ميدان السلوك والعمل .

وستبقى تبوك ، أعظم غزوة ، وأعظم جيش ، أمام أعظم عدو ، مع أعظم تربية ، وأعظم النتائج .

نتائج تبوك

☆ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾[1] .

☆ ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[2] .

قدم رسول الله ﷺ من تبوك في رمضان سنة (٩) للهجرة ، وأحداث تبوك تاريخ مضى ، نتائجها العملية في فقهها بعد وقوعها .

تبوك .. درس لكل مسلم ، وفي كل زمن ، فهي إرشاد وتعليم للإعراض عن الإثم والمعصية واللغو .. مع الالتزام الدقيق بأوامر الله ورسوله .

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٤١ .

فالذين نفروا في الحر ، عادوا كراماً مع المجد والثواب .

والذين لم ينفروا لعنة الله عليهم باقية .

فليمت في الحر في سبيل الله ، وليخسر جسده ، فبذلك كسب الروح وكسب الآخرة . والجهاد شرف ، لذلك في الغزوات المقبلة : ﴿ فإن رَجَعكَ اللهُ إلى طائِفةٍ منهم فاستأذنوك للخروجِ فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تُقاتلوا معي عدواً ، إنكم رضيتم بالقعودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فاقعدوا مع الخالفين ﴾[1] .

فالجهاد مجد ، والمنافقون ليسوا أهلاً لهذا المجد ، وليسوا أهلاً كي ينالوا شرف الاستشهاد وعزته وكرامته . فجاء حكم القرآن الكريم قاطعاً وعظيماً وشديداً وحازماً وهائلاً .. يحلم إلى آخر درجات الحلم ، فإن حكم ، فالحكم قاطع : ﴿ إنكم رضيتم بالقعود أَوَّلَ مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ ، ليس هذا فحسب ، بل : ﴿ ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾[2] . هذا حكم الله عز وجل فيهم ، لأنهم يظهرون الإيمان ، ويبطنون كفرا ..

يظهرون الحب ، ويضمرون التخريب ..

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٨٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٨٤ .

يظهرون الصلاح ، ويخفون الفساد والزيغ ..

يظهرون الالتزام ، ويبطنون النفاق والشقاق .. لذلك سُمِّيت سورة التوبة التي حَوَت وشملت وسجلت أحداث تبوك : الفاضحة ، المنفِّرة ، المعبِّرة ، المبعثرة ، البعوث ، المدمدمة ، المخزية ، المنكِّلة ، المشرِّدة ... لأنها رفعت الأستار والحجب عن فئات من الناس كانوا يظهرون إسلاماً ، ويخطِّطون - مع قوى أجنبية - لتخريب المجتمع الإسلامي ، حتى كانت تبوك ، فكانت امتحاناً وتمحيصاً وكشفاً لخفايا المدَّعين .

وفي المقابل .. أظهرت تبوك روعة التربية الإسلامية ، وتشوق الجيل الذي رباه محمد رسول الله ، لتحمل المشاق في سبيل العقيدة ، تحمل الصعاب حتى عشق الشهادة ، كعشق الماء البارد في يوم حار .. وستبقى صورة (البكاؤون) ماثلة حيَّة تشهد بعظمة تربية رسول الله ﷺ .

تبوك .. تعني تحول الإسلام إلى مرحلته الأهم والأعظم ، إلى مرحلته العالمية ، تحوله من مرحلة الدعوة والوعظ والإرشاد ، إلى دولة وجيش وقوة .. فلم يستطع أعداؤه أن يظهروا أمامه محاربين ، فعمدوا إلى الدس ، وتستروا بظاهر الإسلام ، وهم يحاربونه ليطفئوا نور الله ، وليهزموا رسول الله ، ولكن أمر الإسلام متصل بالله ، بعناية الله ،

بتوفيق الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره وينصر نبيَّه .

تبوك .. اخر غزوة لرسول الله ﷺ ، تعني الامتحان العام لكل الشعب ، بعد تربيته وتعليمه ، فجاءت النتائج تفوق الخيال .. ثلاثون ألفاً تخلَّف منهم ثلاثة اعترفوا بذنبهم ، وثمانون منافقاً لا عذر لهم .. سجل الله هذه الأحداث ، وهذه الصور في القرآن الكريم إلى قيام الساعة لتحاشي النفاق ، والابتعاد عن صفات وأعمال المنافقين ، وألا يظهر المسلم أمام الناس صلاحاً ويضمر غير ذلك ، يظهر ديناً ليكسب ثقة الناس ، وقلبه مغموس بالنفاق ، وفي خلقه نفاق ، وفي داره نفاق ، وفي خلوته نفاق ..

وتبوك .. تعني تطهير المجتمع بفضح المنافقين ، ورأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول ، الذي توفي سنة تسع في شهر ذي القعدة ، بعد أن مرض عشرين ليلة ، فكان رسول الله يعوده فيها ، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ ، وهو يجود بنفسه فقال : « قد نهيتك عن حب يهود » ، فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه ؟ ثم قال : يا رسول الله ليس هذا الحين عتاب ، هو الموت ، فاحضر غسلي وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفنّي فيه ، وصل عليَّ واستغفر لي ، ففعل ذلك به رسول الله ﷺ . وعارض عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك الله عنه ؟! فقال رسول الله : « إن ربي خيَّرني فقال : ﴿ استغفر لهم أو

لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيد على السبعين » . يا رسول الله ، تصلي عليه وقد قال في يوم كذا كذا ، وقال في يوم كذا كذا وكذا ..

لقد صلى عليه رسول الله إكراماً لابنه(١) الذي قال : إن لم تصل عليه يا رسول الله لن يصلي عليه مسلم ، فقام رسول الله ﷺ فصلى عليه . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه : فصلى عليه ، ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآية الكريمة : ﴿ ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره .. ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ لحذيفة بن اليمان : « إني مسرٌّ إليك سراً فلا تذكرنه ، إني نُهيت أن أُصلي على فلان وفلان وعن جماعة من المنافقين ، فلما توفي رسول الله ﷺ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته إذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة رضي الله عنه فقاده إلى الصلاة عليه ، فإن مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضي الله عنه ، وإن انتزع يده من يده ، ترك الصلاة عليه .

(١) واسمه (عبد الله) أيضاً ، فلم يأخذ رسول الله ﷺ بقول عمر جرياً على ظاهر حكم الإسلام ، ولإكرام ولده الذي تحقق صلاحه ، واستئلافاً لقومه .. وبخاصة طلبه قميص النبي الذي يلي جسده الشريف اعتراف ببركة النبي ، أو استمرار في النفاق إلى آخر لحظة ، ولكن بعض المنافقين أصلحوا أنفسهم بسبب طلبه هذا .

وتبوك حرب وقائيـة تعلن لأول مرة في تـاريخ الجزيرة العربيـة النفير العـام ومبـدأ الحرب الشـاملـة ، مَعَ سرعـة الحركـة ، والتنقـل السريع ، والحركة الدؤوب في أصعب الظروف .

وفي تبـوك .. أظهر النبي ﷺ قـدرة عظيمـة في التنظيم والخبرة الأعظم في فن قيادة الرجال .

وفي تبوك .. بعد انسحاب الروم شمالاً عندما علموا بضخامة جيش المسلمين ، ومايتمتع به من روح معنوية عاليـة فريـدة ، أصبح للمسلمين حلفاء على حدودهم الشماليـة ، بين المسلمين وبينهم معـاهـدات ، فكانت بـلادهم مراكـز انطـلاق قـادمـة في حروب المسلمين مـع الروم ، والتي ستكون (اليرموك) أوجها وحدّها الفاصل .

وبعـد تبـوك .. انتهى تردد المتخلفين من القبـائـل العربيـة عن الالتحاق في الدين الجديد ، فجاء وفد ثقيف مسلماً مبـايعـاً ، قـال ابن هشـام : حـدثني أبو عبيـدة أن ذلـك في سنـة تسـع وأنهـا تسمى (سنـة الـوفـود) .. لقـد عرفت قريش والعرب كلهم معهـا بعـد تبـوك ، أنهم لاطـاقـة لهم بحرب رسـول الله ﷺ ولاعـداوتـه ، فـدخلـوا في دين الله أفواجـاً ، يضربون إليـه من كل وجـه : ﴿ إذا جـاء نصر الله والفتـح ، ورأيت النـاس يـدخلـون في دين الله أفـواجـاً ، فسبـح بحمـد ربـك واستغفره إنه كان تواباً ﴾[1] .

(١) سورة النصر ، مدنية وآياتها ثلاث .

وجاء عدي بن حاتم مسلماً ، وقال له رسول الله ﷺ : « والله ليوشكن المال أن يفيض حتى لا يوجد من يأخذه ، والله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لاتخاف إلا الله .. وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .. » .

ورأى عدي بن حاتم القصور البيض من أرض بابل قد فتحت .. وكان ممن دخلها ..

ورأى المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ..

وكان يقول : وايم الله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه[1] ، وكان ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وأيام الرشيد ..

وأخيراً ..

تبوك .. خطوة معنوية كبيرة عظيمة ، أظهرت المسلمين قوة عالمية ، خشيها هرقل قيصر الروم ، وآثر الانسحاب أمامها ، فمن القبائل العربية تجاهه ؟! لقد آثرت الانضواء - بعد تبوك - تحت راية الإسلام ..

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ص ٨٤ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ص ١٦٦ ، الطبري ، جـ ٣ ص ١١٥ .

ويكون الرسول الأعظم ﷺ قد قدَّم شهادة الإسلام الحق ـ بعد تبوك ـ للجيل الذي ربّاه نفساً ، وإرادة ، وعزيمة ، وقلباً ، وروحاً .. وأعطاه للصديق رضي الله عنه جيشاً ناجحاً مدرَّباً ليتم المسيرة ، ولينقل الشعوب إلى سماحة الإسلام ، وعدله ، وإنسانيته ، وإخائه ، وإيثاره ، وعلومه ...

وقد كان لرسول الله ﷺ معظم ماأراد ، عندما فتح المسلمون نصف الدنيا في نصف قرن ، ولو التزم الناس على مَرّ الأجيال بأخلاق تبوك ، وأهداف تبوك ، ودروس تبوك .. متناسية كل خلاف بينهم ، أو غنية ، أو مصلحة دنيوية .. لعم الإسلام العالم كله بعد بلاط الشهداء (بواتييه) .

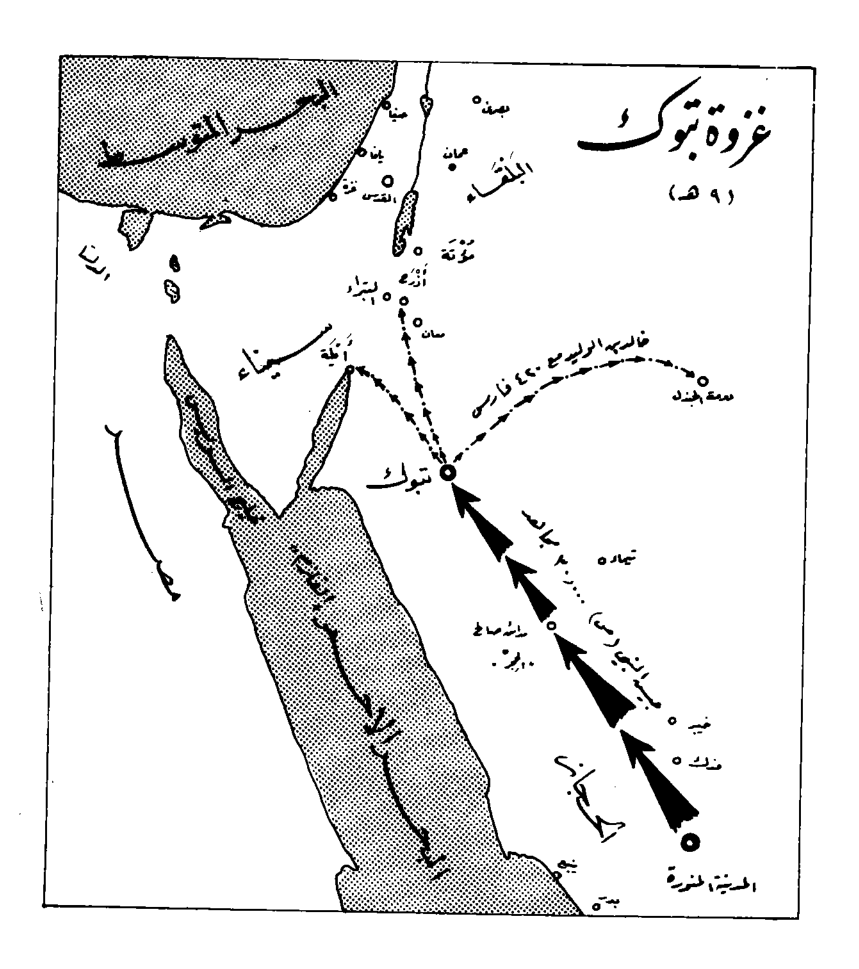
وستتحقق عالمية الإسلام ، وعموم الرسالة ..

يقول عز وجل في محكم التنزيل :

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ ، [٨٧ و ٨٨] .

والحمد لله رب العالمين .





غزوة تبوك
(٩ هـ)
البحر المتوسط
البلقاء
عمان
يافا
القدس
غزة
مؤتة
أذرح
الجرباء
معان
أيلة
سيناء
تبوك
خالد بن الوليد مع ٤٢٠ فارس
دومة الجندل
تيماء
خيبر
فدك
الحجاز
ينبع
المدينة المنورة

خاتمة

الوفود

* قالت العرب : « اتركوه وقومه ، فإنّه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق » ، فجاءت الوفود من كل أرجاء الجزيرة بعدما أسلمت قريش ؛ التي كانت خادمةَ البيتِ والحَرَم ، وحطَّمت بيدها أصنامها وأوثانها .

كانت غزوات رسول الله ﷺ بنفسه ستاً وعشرين غزوة ، وقيل سبع وعشرون غزوة ، فمن قال هي ست وعشرون ، جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة ، لأنه ﷺ لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ، ولكنّه ﷺ مضى منها إلى وادي القرى ، فجعل ذلك غزوة واحدة ، ومن قال هي سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوة ، ووادي القرى غزوة أُخرى ، وهي حسب تسلسل وقوعها[1] :

---

(١) ابن هشام : جـ ٤ ص ١٨٩ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٤٨ ، الطبري : جـ ٣ ص ١٥٢ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٤٢٩ .

١ - غزوة وَدَّان (الأبواء) .
٢ - غزوة بُوَاط (ناحية رَضْوَى) .
٣ - غزوة العُشَيْرة (من بطن ينبع) .
٤ - غزوة بدر الأُولى (طلب بها كُرْز بن جابر) .
٥ - غزوة بدر الكبرى (يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان) .
٦ - غزوة بني سُلَيم .
٧ - غزوة السَّويق (طلب بها أبا سفيان) .
٨ - غزوة غطفان (ذي أمَر ناحية نجد) .
٩ - غزوة بَحْران .
١٠ - غزوة أُحُد (عاقبة المخالفة) .
١١ - غزوة حمراء الأَسَد .
١٢ - غزوة بني النضير .
١٣ - غزوة ذات الرقاع .
١٤ - غزوة بدر الآخرة .
١٥ - غزوة دومة الجندل .
١٦ - غزوة الخندق (غزوة الأَحزاب) .
١٧ - غزوة بني قريظة .
١٨ - غزوة بني لِحْيان (من هُذَيل) .

١٩ ـ غزوة ذي قَرَد .

٢٠ ـ غزوة بني المصطلق (من خُزَاعة) .

٢١ ـ غزوة الحديبية (الفتح المبين) .

٢٢ ـ غزوة خيبر ، ووادي القرى (الفتح القريب) .

٢٣ ـ غزوة الفتح الأعظم ، فتح مكة .

٢٤ ـ غزوة حُنين (الإعجاب بالكثرة) .

٢٥ ـ غزوة الطائف .

٢٦ ـ غزوة تبوك (غزوة العُسْرَة) .

قاتل رسول الله ﷺ في تسع غزوات منها بنفسه ، وهي : بدر الكبرى ، وأُحُد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ووادي القرى ، والفتح الأعظم ، وحنين ، والطائف .

وكانت سراياه ﷺ وبعوثُه خمساً وثلاثين سريّة وبعثة .



عَامُ ٱلْوُفُودِ[١] :

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكّة ، وفرغ من

---

(١) في الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٣ / ب ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٧٦ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩١ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٥ . الطبري : جـ ٣ ص ٢٣٩ ، ابن =

تبـوك ، وأسلمت ثقيف وبـايعت ، ضربت إليــه وفـود العرب من كل وجه ، وكان قدوم معظم الوفود سنة تسع للهجرة ، فسمِّيت سنـة تسع : « سَنَةُ الوُفُود » .

وإسلام قريش سبب مباشر لورود الـوفـود ، لأنهـا إمـام العرب وهاديهم ، وخادمة البيت والحرم ، وقـادة العرب ، والعرب لا ينكرون ذلـــك ، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرســول الله ﷺ ، وهـا هي مكّـة كلهـا تـدخـل في دين الله أفـواجـاً ، وتحطِّم أصنـامهـا وأوثانها .

لقد قالت العرب بعد بدر وأُحُد والخندق .. اتركوه وقومَهُ ، فإنَّـه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق .

ومما يجدر ذكره هنا ، يجب التمييز بين السَّـابق إلى الإسلام ، وبين هؤلاء الـذين أسلموا بعـد الفتح الأعظم : ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَـقَ مِنْ قَبْلِ ٱلفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِـكَ أَعْظَمُ دَرَجَـةً مِنَ الَّـذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْـدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾[1] .

= خلدون : جـ ٢ ص ٥١ .. وأورد ابن سعد في طبقاتـه الكبرى أكثر من سبعين وفـداً ، وذلـك في الجزء الأول من صفحـة ٢٩١ وحتى صفحـة ٣٥٩ ، ننتقي خلال هـذه الصفحـات عـدداً من هذه الوفود .

(١) الحديد : ١٠ .

☆ وأوّل من وفـــد على رســول الله ﷺ من مضر أربعمئـــــة من مـزينـة ، وذاك في رجب سنـــة خمس للهجرة ، قـــال لهم ﷺ : « أنتم مهاجرون حيث كنتم ، فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم(١) .

☆ وأوّل من قدم من مُزَيْنَة خُزَاعيٌّ بن عبد نهم ، ومعـه عشرة من قومـه مُزَينـة ، ويوم الفتح دفع رسول الله ﷺ لـواء مـزينـة ، وكانـوا يومئذ ألفاً ، إلى خزاعيّ .

☆ ثم جـــاء وفـــد من تميم وفيهم الأقرع بن حـــابس التميمي ، والـزّبرقـــان بن بـــدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحَبْحـــاب بن يـزيـــد ، ونعيم بن يـزيـــد ، وقيس بن الحـــارث ، وقيس بن عـــاصم أخـــو بني سعد .. في وفد عظيم من بني تميم(٢) .

وفد بني عبد القيس :

بينمـا رسول الله ﷺ يحـدّث أصحـابـه إذ قـال لهم : « سيطلع من هـاهنـا ركبٌ هم خير أهل المشرق » ، فقـام عمر فتـوجّـه نحـوهم فتلقّى

---

(١) طبقـات ابن سعـد : جـ ١ ص ٢٩١ ، السّيرة النبـويـة لابن كثير : جـ ٤ ص ٧٧ ، البـدايـة والنهاية : جـ ٥ ص ٤١ .

(٢) الاكتفـــــاء : جـ ١ ص ١٦٣ / ب ، الطبري : جـ ٣ ص ١١٥ ، الكامـل في التـــاريـخ : جـ ٢ ص ١٩٥ ، السّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٤٦ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٢٨٤ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٧٩ .

ثلاثة عشر راكباً ، فقال : من القوم ؟ فقالوا : من بني عبد القيس ، قال : فما أقْدَمكم هذه البلاد ، التجارة ؟ قالوا : لا ، قال : أما إن النبيَّ ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً .

ولما وصل وفد بني عبد القيس ، أتوا رسول الله ﷺ وتواثبوا من رواحلهم ، فقبَّلوا يده ، فقال ﷺ : « مرحباً بالقوم غير خزايا ولا النَّدامى » ، فقالوا : يا رسول الله ، إن بيننا وبينك المشركين من مُضَر ، وإنا لا نصل إليك إلاّ في الشهر الحرام ، فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنّة ، وندعو به مَنْ وراءنا ، فقال ﷺ : « آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ، الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان . وأن تُعطوا من المغانم الخُمْسَ ، وأنهاكم عن أربع : ما يُنْتَبذ في الدُّبّاء والنَّقِير والحَنْتَم والمُزَفّت[1] ، فاحفظوهن وادعوا إليهن مَنْ وراءكم » .

وكان في الوفد الأَشجُّ ـ المنذر بن عامر[2] ـ فَعَقَلَ راحلته ،

---

(١) الدُّبّاء : القرع اليابس ، والمراد الوعاء منه ، والنقير : جذع ينقر وسطه ، والحَنْتَمُ : جرار خضر ، والمُزَفَّت : المطلي بالقار .

(٢) أُسد الغابة : جـ ٥ ص ٢٦٧ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٨٩ ، وهو في السيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٠ : عبد الله بن عوف خطأ .

وأخرج عَيْبته[1] ففتحها ، فأخرج ثوبين أبيضين من ثيـابـه فلبسهما ، ثُمَّ أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله ﷺ حتى أخذ بيده فقبَّلَها ، فقال ﷺ : « يـاأشجُّ إنَّ فيـك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسولـه : الحلم والأنـاة » ، فقـال : يـا رسـول الله ، أنـا تخلَّقتُهما أو جبلني الله عليهما ؟ فقال ﷺ : « بل الله جبلكَ عليهما » . قال : الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبُّهما اللهُ عز وجل ورسوله » .

وقـدم الجـارود[2] بن بشر بن المعلَّى في وفـد عبـد القيس فـأسلم . وعـاد إلى قومـه ، وكان حسن الإسلام صلبـاً على دينـه حتى لقي وجـه ربّه[3] ، وله موقف مشهود في حروب الرِّدَّة .

وَفْدُ بَنِي حَنِيفة[4] :

أسلم ثُمالـة بن أُثـال ـ وهو من بني حنيفـة ـ قبل فتح مكّـة ، ولمـا

---

(١) عيبته (العيبة) : وعاء من أدَم ، يكون فيها المتاع ، لسان العرب : جـ ١ ص ٦٣٤ .

(٢) سُمّي الجارود لأنّه أغار على قوم من بكر فجرَّدهم ، قال الشاعر :

ودسنـاهم بـالخيـل من كل جـانب ... كما جرد الجـارود بكر بن وائـل

(٣) الاكتفـاء : جـ ١ ص ١٦٨ / ب ، طبقـات ابن سعـد : جـ ١ ص ٣١٤ ، جـ ٢ ص ٥٥ ، ابن هشـام : جـ ٤ ص ١٦٤ ، الطبري : جـ ٣ ص ١٣٦ ، السّيرة النبـويَّـة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩١ ، عيـون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٤ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٠ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٤٩ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٤٦ .

(٤) اسم حنيفة : أثال بن لجيم بن سعد بن علي بن بكر بن وائل .

جاء وفد بني حنيفة ، كان من بينهم مُسَيْلَمة الكذَّاب[1] ، وقال : إنْ جعل لي محمد الأَمر من بعده اتَّبعته ، فقال ﷺ وكانت بيده قطعة جَريد : « لو سألتني هذه القطعة ماأعطيتكها » .

وندع الحديث عن هذا الوفد الآن ، فلنا حديث مفصَّل عنه في الجزء العاشر من هذه السلسلة ، في « حروب الرِّدَّة » ، لأن مسيلمة لَمَّا عاد إلى اليمامة ، تنبّأ وتكذَّب لقومه ، وقال : إنّي قد أُشركت في الأمر معه[2] .

وَفْد أَهْلِ نَجْران :

أرسل رسول الله ﷺ كتاباً لأسقف نجران ، وبعد التداول في أمره مع من حوله ، أَقرُّوا أن يرسلوا شُرحبيل بن وَدَاعة الهَمْداني ، وعبد الله بن شُرحبيل الأَصْبحي ، وجبار بن فيض الحارثي فيأتوا بخبر رسول الله ﷺ .

---

(١) وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، ويكنى أبا ثمامة .

(٢) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٧٣ / ب ، الطبري : جـ ٣ ص ١٣٧ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ٢٣٥ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٦ ، ابن سعد : جـ ١ ص ٣١٦ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٥ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٢ . السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ٩٤ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٤٨ .

وقـدم وفـد نصـارى نجران سـتـون راكبـاً ، منهم أربعـة وعشرون رجـلاً من أشرافهم ، ومنهم ثـلاثـة نفر إليهم يـؤول أمرهم : العـاقب ، والسيد ، وأُسقفهم أبو حارثة أحـد بني بكر بن وائل ، ودخلوا في تجمُّل وثياب حِسَان ، وقد حانت صلاة العصر ، فقـاموا يصلُّون إلى المشرق ، فقـال رسـول الله ﷺ : « دعـوهم » ، وكان المتكلِّم لهم أَبـو حـارثـة بن علقمـة ، والعـاقب ، والسيـد ، حتى نزل فيهم صـدرُ سورة آل عمران ، وأبوا المُبَاهلـة[1] ، وسـألوه ﷺ أن يرسل معهم أمينـاً فقـال ﷺ : « قم يـا أبـا عبيـدة بن الجراح » ، فلمـا قـام قـال ﷺ : « هـذا أمينُ هــذه الأُمَّة »[2] .

وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ :

قدم وفـد بني عـامر وفيهم عـامر بن الطُّفيل ، وأَرْبَـد بن قيس ، وحيـان بن سَلْمى ، وأراد عـامر بن الطفيل الغـدر برسول الله ﷺ ، فقال لأَربد : إن قدمنا على الرجل فـإنِّي سَـأُشْغِلُ عنـكَ وجهَـه ، فـإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسَّيف .

---

(١) المُبَاهَلَة : المُلاعَنَة ، مختار الصحاح ص ٦٧ .

(٢) طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٥٧ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٠١ ـ ١٠٨ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٧ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٢ .

وطلب ابن الطفيل أن يخلو برسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : « لا ، حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له» ، وقال له أيضاً : « أسلم » ، فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر[1] ، قال ﷺ : « لا » . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال ابن الطفيل : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً جُرْداً ، ورجالاً مُرْداً ، ولأربطن بكل نخلة فَرَساً . فلما ولى قال رسول الله ﷺ : « اللهم اكفني عامرَ بن الطفيل ، واهد قومه » .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل لأربد : أين ما كنتُ أمرتُكَ به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ أخوفَ على نفسي منك ، وأيم الله لاأخاف بعد اليوم أبداً ، قال أربد : لاأبالك ، لاتعجل عَلَيَّ ، والله ماهممتُ بالذي أمرتني به ، إلاَّ دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ماأرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعونَ في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول[2] ، فجعل يقول : أَغُدَّةٌ كَغُدَّةِ الإبل ،

---

(١) يعني أن له البادية والريف ، ولرسول الله ﷺ الحَضَر .

(٢) السلولية امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ، وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أُمهم ، وهي بنت ذهل بن شيبان ، وكان عامر بن الطفيل من بني عامر بن صعصعة ، فلذلك اختصَّها لقرب النسب بينهما .

وموتٌ في بيت سَلُولية[1] !

وأرسل الله على أربد وجَمَلِه صاعقةً فأحرقتها : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُم يُجَادِلُونَ في اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلمِحَالِ ﴾[2] .

قُدُومُ ضِمَام بن ثَعْلَبة وَافِداً عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْر :

قدم ضمام بن ثعلبة المدينة المنوَّرة ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عَقَلَه ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جَلْداً أشْعَرَ ذا غديرتين[3] ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيُّكم ابنُ عبد المطلب ، فقال رسول الله ﷺ : « أنا بن عبد المطلب » ، فقال : يا محمَّد ، قال ﷺ : « نعم » ، قال : يا بن عبد المطلب إنّي مُغْلِظٌ عليكَ في المسألة[4] ، فلا تجدنَّ في نفسكَ ، قال ﷺ : « لا أجد في نفسي ، فَسَلْ عما بدا لك » ، فقال : أنْشُدُكَ إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آللهُ

(١) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٤ / أ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١١٠ ، ابن هشام :جـ ٤ ص ١٥٩ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣١٠ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٤ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٤٧ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥٦

(٢) الرعد : ١٣

(٣) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٤) قال أنس بن مالك : كان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع ، لحيائهم من سؤال رسول الله ﷺ .

أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ قال ﷺ : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نُصَلّي هذه الصلوات الخمس ؟ قال ﷺ : « نعم » . ثم جعل ضمام يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصّيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، سأؤدي هذه الفرائض ، واجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ، [آمنت بما جئت به وأنا رسُول مَنْ ورائي قومي ، وأنا ضِمَام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر] ، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صَدَقَ ذو العَقِيصَتَيْن[1] دخل الجنَّة » .

خرج ضمام بن ثعلبة حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أوَّل ما تكلَّم به أن قال : بئست اللاَّتُ والعُزَّى[2] ، فقالوا : مه يا ضِمَام اتَّقِ البَرَصَ ، اتَّق الجذام ، اتَّق الجنون !

---

(١) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .

(٢) وفي هذا السّياق ما يدل على أنّه رجع إلى قومه قبل الفتح ، لأن العُزَّى خرَّبها خالد بن الوليد أيام الفتح .

فقال ضمام : ويلكم ، إنَّهما والله لا يَضُرَّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنفذكم به مما كنتم فيه ، وإنِّي أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، فما أمسى ذلك اليوم وفي حاضِرِه رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، وبنوا المساجد ، وأذَّنوا للصلاة .

يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافدِ قومٍ كان أفضل من ضِمَام بن ثعلبة[1] .

وَفْدُ طَيِّء مَعَ زَيْدِ ٱلخَيْلِ :

سُمِّي زيد الخيل لخمس أفراس كُنَّ له[2] ، وهو زيد بن مُهَلْهل بن زيد بن مُنْهب ، أبو مُكْنِف الطائي ، وكان من أحسن العرب ، ومن أطولهم رجلاً .

سَمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال : « ما ذُكِرَ رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دونَ ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ،

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٥٧ ، ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩٩ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٢ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١١٦ ، الطبري : جـ ٣ ص ١٢٤ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٤٨ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٣ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٨ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٦٢ .

(٢) ذكر أسماءها البكري ، وهي الهطال ، الكميت ، الورد ، الكامل ، دءول ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٦ .

فإنَّه لم يُبْلغ كل الذي فيه » وفي رواية قال ﷺ : « ما وُصِفَ لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصِّفة غيرك » .

كان له ابنان : مُكْنِف وحُرَيت ، أَسْلَما وصحبا رسول الله ﷺ ، وشهدا قتال الرِّدَّة مع خالد بن الوليد .

لقد أسلم زيد الخيل ووفد طيّء ، وحسن إسلامهم[1] .

عَدِيٌّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائِي :

قال عدي بن حاتم : ما رجلٌ من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، كنت امرءاً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسير في قومي بالمِرْباع[2] ، وكنت في نفسي على دِين ، وكنت ملكاً في قومي لِمَا كان يُصْنَع بي ، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعياً لإبلي : لا أبالك ، اعْدُدْ لي من إبلي أَجْمَالاً ذُلُلاً سِمَاناً ، فاحتبسها قريباً منّي ، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمد قد وَطِئ هذه البلاد ، فآذِنّي ، ففعل .

---

(١) ابن سعد : جـ ١ ص ٣٢١ ، أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٣٠١ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٧ ، السّيرة النبويّة والآثار المحمديّة : جـ ٣ ص ٢٤ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٥ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٨ ، الطبري : جـ ٢ ص ١٤٥ ، السّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٥٣ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٢١ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) المِرْباع : ما يأخذه الأمير ، وهو رُبْعُ المَغْنَم ، مختار الصحاح : ص ٢٣١ .

ثم إنَّه أتاني ذات غداة ، فقال : ياعديّ ، ماكنتَ صانعاً إذا غشيتك خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإنّي قد رأيتُ رايات فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : فقرِّب إليَّ أَجْمَالي ، فقرَّبها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحقُ بأهل ديني من النَّصارى بالشام ، فسلكت الجَوْشِيَّة[1] ، وخَلَّفت بِنْتاً لحاتم في الحاضر ـ أُخته ـ فلما قدمتُ الشام أقمت بها .

أُسِرَت أُخته ، وهي سَفَّانَة بنت حاتم الطَّائي[2] ، وبلغ رسول الله ﷺ هرب عديّ إلى الشام ، فجعلت ابنة حاتم تقول لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عَلَيَّ مَنَّ الله عليك ، إن رأيت أن تخلِّي عنا ولا تشمِّت بنا أحياء العرب فإنِّي ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذِّمار[3] ، ويفكُّ العاني[4] ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويَقْري الضيف[5] ، ويطعم الطعام ، ويغشي السَّلام ، ولم يردّ طالبَ حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طَيِّء ، فقال

---

(١) الجوشية : موضع بين نجد والشام .

(٢) الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٨ ، أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٩ ، أعلام النساء : جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٣) ذِمَار الرجل : هو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه ، ومنه الحَرَمُ والأَهل ، لسان العرب : جـ ٤ ص ٣١٢ .

(٤) العاني : الأسير ، مختار الصحاح : ص ٤٥٩ .

(٥) القِرَى ماقُرِيَ به الضَّيف ، أي ماأُكرم به ، مختار الصحاح : ص ٥٣٣ .

ﷺ : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقّاً ، لو كان أبوك مُسْلماً لترحَّمْنا عليه ، خلُّوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » .

وقال لها رسول الله ﷺ أيضاً : « لاتَعْجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يُبَلِّغك إلى بلادك ، ثم آذنيني » ، فطلبت سَفَّانَة حُمْلاناً ، فأمر لها وقال ﷺ : « لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها » .

قالت : وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضَاعة ، فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي لهم لي فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكساني وحمَّلني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمتُ الشام ، وقد أَسْلَمَتْ وحَسُنَ إسلامُهَا .

قال عديّ : فوالله إني لقاعد في أهلي ، فنظرت إلى ظَعِينة تصوَّب إلى قومنا ، قال : فقلت ابنةُ حاتم ، فإذا هي هي . فلما وقفتْ عليَّ انسحَلَتْ[1] تقول : القاطع الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بقيَّة والدك عورتك ؟ ! قال : قلت : أي أُخَيَّة لاتقولي إلاّ خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرتِ .

---

(١) انسحلت : جرت بالكلام .

قال عديّ : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضلُه ، وإن يكن ملكاً ، فلن يَذِلَّ في عز اليُمْن وأنت أنت ، قال : فقلت : والله إنَّ هذا الرأيُ . قال : فخرجت حتى أقْدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في المسجد ، فسلَّمت عليه ، فقال : « مَنِ الرَّجل ؟ » فقلت : عَدِيٌّ بن حاتم .

فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لَعَامِدٌ بي إليه إذ لَقِيَتْهُ امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستَوْقَفَتْه ، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بمَلِك ! ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أُدْمٍ محشوَّة ليفاً ، فقذفها إليَّ فقال : « اجلس على هذه » ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، قال ﷺ : « بل أنتَ » ، فجلستُ وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر مَلِك .

ثم قال ﷺ : « ياعديّ بن حاتم أسلم تسلم » فقال عديٌّ : إني على دين ، فقال ﷺ : « أنا أعلمُ بدينك منك » ، عديٌّ : أنتَ أَعلم بديني منّي ؟ قال ﷺ : « نعم ، ألست من الركوسِيَّة[1] ، وأنتَ تأكل مِرْباع

---

(١) الركوسِيَّة : بين النصرانيَّة والوثنيَّة .

قومكَ ؟ » ، قلت : بلى ، قال : « فإن هـذا لا يحل لـك في دينـك » ، قلتُ : أجل والله ، وعرفت أنَّه نبيٌّ مرسل يَعْلم ما يَجْهل .

ثم قال ﷺ : لعلك يـا عـدي إنَّما يمنعـك من دخولٍ في هـذا الـدين ، ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكَنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلَّك إنَّما يمنعك من دخول فيه مـا ترى من كثرة عَـدُوِّهم ، وقِلَّـة عَدَدهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرهـا حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلَّك إنَّما يمنعـك من دخولٍ فيـه أنـك ترى أن المُلْكَ والسلطـان في غيرهم ، وأَيم الله ليوشكن أن تسمع بـالقصور البيض من أرض بـابل قـد فُتحت عليهم ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز، وليبـذلن المال حتى لا يقبله أحد ، يـا عـدي بن حـاتم ، مـا أَفرَّك ؟ أَفرَّك أن يقـال لا إله إلاَّ الله ؟ فهل من إلـه إلاَّ الله ، مـا أَفرَّك ؟ أَفرَّك أن يقـال الله أكبر ؟ فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل ؟ » .

قـال عـديّ : فـأسلمت ، وكان يقـول أيضـاً : مضت اثنتـان وبقيت الثـالثـة ، والله لتكونن ، وقـد رأيت القصـور البيض من أرض بـابـل قـد فتحت ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى ، ورأيت المرأة تخرج من القادسيَّـة على بعيرها لا تخـاف حتى تحج هـذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثـالثـة ، وليفيضنَّ المال حتى لا يوجد من يأخذه ، لأَنَّ رسول الله ﷺ قد قالها[1] .

---

(١) وكان ذلك أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

ورُوي عن عدي : ما دخل عليَّ وقت صلاة إلاّ وأنا مشتاق إليها .

وله موقف مشهور في الرِّدَّة ، فقد ثبت على إسلامه ، وثبَّت قومه معه ، ومما يذكر عنه أيضاً : أنَّه سكن الكوفة بعد جهاده مع خالد في العراق والشام ، ومع سعد في القادسيَّة ، فأرسل الأشعث بن قيس إليه يستعير منه قُدُور حاتم ، فملأها وحملها الرِّجَالُ إليه ، فأرسل إليه الأشعث ، إنَّما أردتها فارغة ، فأرسل إليه عدي : إنا لا نُعيرها فارغةً ، مات في الكوفة وله مئة وعشرون سنة ، رحمه الله تعالى[1] .

الطُّفَيل بن عمرو الأَزْدِي الدَّوْسي :

قدم مكَّة ورسول الله ﷺ بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطُّفيل شريفاً شاعراً لبيباً ، فقالوا : ياطفيل ، إنَّك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل بين أَظهرنا قد عَضَل[2] بنا ، وفرَّق جماعتنا ، وإنَّما قوله كالسِّحر ، يفرِّق بين الرجل وبين أهله ، وبين الرجل وبين أَخيه ،

---

(١) لأخبار عديّ بن حاتم راجع : الاكتفاء : جـ ١ ص ١٧٠ / أ ، أُسد الغابة : جـ ٢ ص ٨ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٦ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٢٣ ، الروض الأُنف : جـ ٤ ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٢ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٧ ، السِّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٥٤ ، السِّيرة النبويّة والآثار المحمديَّة : جـ ٣ ص ٢٤ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٦٣ .

(٢) عضل بي الأمر ، وأعضل بي : اشتد وغلظ . وفي مختار الصحاح : ص ٤٣٩ : أَعْضَل الأمر : اشتد واستغلق .

وبينه وبين زوجه ، وإنَّما نخشى عليك وعلى قومك ، فلا تكلمه ، ولا تسمع منه .

قال الطُّفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أُكلِّمه ، حتى حَشَوْتُ أُذُنَيَّ كُرْسُفاً[1] فَرَقاً أن يبلغني من قوله ، وأنا أُريد أن لا أسمعه ، فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يُصَلِّي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه ، فأبى اللهُ إلاّ أن يُسْمِعَني قوله ، فسمعت كلاماً حَسَناً ، قال : فقلت في نفسي واثُكْلَ أُمِّي ! والله إنِّي لرجل شاعر لبيب ، ما يخفى عَلَيَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول ! إن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يا محمَّد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، ثم إن الله أبى إلاّ أن أسمع قولك ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعْرِضْ عليَّ أمرك ، قال : فَعَرَضَ عليّ الإسلام ، وتلا علي القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً أحْسَنَ منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت ، وقلت : يا رسول الله ، إنّي امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام . قال : فخرجت حتى أشرفت على ثنيَّة أهلي التي تهبطني على

(١) الكُرْسُفُ : القطن ، مختار الصحاح : ص ٥٦٧ .

حاضر دَوْس ، فلما نزلتُ أتاني أَبي ، وكان شيخاً كبيراً ، فقلت : إليكَ عنِّي أَبَه[1] ، فلستُ منك ولستَ مني ، قال : وَلِمَ ، أَيْ بُنَيَّ ؟ قلت : إنِّي أسلمت ، قال : أي بُنَيّ ، فديني دينك ، فأسلم ، ثم أتتني صاحبتي - زوجه - ، فقلت لها مثل ذلك ، فأسلمت ، ثم دعوت دَوْساً فأبطؤوا عن الإسلام ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت : يا رسول الله ، إني قد غلبني على دَوْس الزنى ، فادع اللهَ عليهم ، فقال ﷺ : « اللهم اهْدِ دَوْساً ، ارجع إلى قومك فادعُهُم وارفُقْ بهم » .

قال الطُّفيل : فرجعت ، فلم أزل بأرض قومي أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وقضى بدراً وأُحُداً والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين ، ثم لم أزل مع رسول الله حتى فتح الله عز وجل عليه مكّة[2] .

فلمّا ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين مجاهداً أهل الرِّدَّة ، واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة[3] .

---

(١) أي : ياأبتي .

(٢) ومنها انطلق وحرق ذا الكَفَّين ، ثم عاد إلى المدينة ، وبقي فيها حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ .

(٣) أُسد الغابة : جـ ٣ ص ٧٩ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٥٣ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٣٣ ، السِّيرة النبويّة والآثار المحمديّة : جـ ٣ ص ٤٨ .

قُدُومُ الأَشْعَرِيينَ وَأَهْلِ اليَمَن :

قال ﷺ : « أتاكم أهل اليمن ، هم أَرَقُّ أفئدةً وأَلينُ قلوباً ، الإيمان يَمَانٍ ، والحكمة يمانيَّة ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسَّكينة والوقار في أهل الغنم » .

قال أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) : بلغنا مَخْرَجُ رسول الله ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين أنا وأَخوان لي ، أنا أصغرهما ـ وهما أبو بُرْدَة والآخر أبو رُهم ـ مع ثلاثة وخمسين رجلاً من قومي ، فركبنا السَّفينة ، فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأَصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا ، وأَمرنا بالإقامة معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا رسول الله حين فتح خيبر ، فأسهم لنا[1] .

وَفْدُ فَرْوَة بن مُسَيْكٍ المُرادِي :

وفد فروة بن مسيك المرادي مفارقاً لملوك كِنْدة ، ومباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ ، فاستعمله ﷺ على مراد وزبيد ومَذْحِج كلها ،

---

(١) أُسد الغابة : جـ ٦ ص ٣٠٦ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٤٨ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٣٤ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٦٨ .

وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ[1] .

قُدُومُ عمرو بن مَعْد يَكْرِب[2] في أُنَاسٍ من زبيد :

قال عمرو بن معد يكرب لقيس بن مَكْشُوح المرادي حين انتهى إليهم أَمْرُ رسول الله ﷺ : ياقيس ، إنَّك سيد قومك ، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمَّد قد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبيٌّ ، فَانْطَلِق بنا إليه حتى نَعْلَم علمه ، فإن كان نبيّاً كما يقول ، فإنَّه لن يخفى علينا إذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك عَلِمنا عِلْمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فأسلم وصدّقه وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عَمْراً ، وقال خالفني وترك أمري ورأيي !

أقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبَيد وعليهم فروة بن

---

(١) لأخبار فروة بن مسيك راجع : الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٥ / ب ، الطبري : جـ ٣ ص ١٣٤ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٣٩ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٦٨ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٢٧ ، السّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٣٦ ، السّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٥ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٧٠ .

(٢) هو في الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٦ ، وفي عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٤٠ : عمرو بن معد كرب ، والأصح « يكرب » .

مُسَيْك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّ فيمن ارتد ، ثم رجع إلى الإسلام ، وحَسُنَ إسلامُهُ ، وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصِّدِّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، والشعراء المجيدين[1] .

قُدُومُ الأَشْعَث بن قَيْس في وَفْدِ كِنْدة :

وقدم الأشعث في ثمانين راكباً من كندة ، فأسلموا ، وكان الأشعث رئيساً مطاعاً في الجاهلية ، وجيهاً في قومه في الإسلام ، إلاَّ أنَّه كان ممن ارتد بعد رسول الله ﷺ ، ثم راجع الإسلام في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق فحسن إسلامه[2] .

قُدُومُ صُرَد بن عبد الله الأَزْدِيّ في نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ :

وقدم صُرَد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه ، فأسلم وحسن

---

(١) طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٢٨ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٦ ، الطبري : جـ ٣ ص ١٣٢ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٧٠ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٥ البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٧١ ، وهناك رأي في السِّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٤٠ ، أنه لم يأتِ النبيَّ ﷺ ، وآمن به غيباً .

(٢) ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٦ ، الاكتفاء : جـ ١ ص ١٧٠ / ب ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٤٢ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٧٢ ، الطبري : جـ ٣ ص ١٣٨ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٦ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٤٠ السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة : جـ ٣ ص ٣٧ ،البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٧٢ .

إسلامه ، وأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَنْ يليه من أهل الشِّرك من قبائل اليمن .

وجاء بعد جهادِ صُرَد في اليمن ، وفدٌ من أهل جُرَش ، فأسلموا وحسن إسلامهم[1] .

قُدُومُ رسول ملوك حِمْيَر إلى رسول الله ﷺ :

وجاء رسولَ الله ﷺ كتابُ ملوكِ حِمْيَر ورسلهم بإسلامهم ، وذلك بعد عودته من تبوك ، ومن ملوك اليمن الذين أرسلوا الكتاب : الحارث بن كُلاَل ، ونعيم بن كُلاَل ، والنعمان قَيْل ذي رُعَيْن ومغافر وهَمْدان ، وبعث إليه زُرْعَةُ ذو يزن بن مالك بن مُرَّة الرَّهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشِّركَ وأَهْلَهُ . فأرسل إليهم ﷺ كتاباً فيه ماعليهم من واجبات ، وأرسل ﷺ عمرو بن حَزْم إلى اليمن يفقِّه أَهلها ويعلمهم السُّنَّة[2] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٧٢ / أ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٧ ، ابن هشام : جـ ٤ ص ١٧٣ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٤٢ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٥ ، الطبري : جـ ٢ ص ١٣٠ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٣٧ .

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ١٢٠ ، ابن خلدون : جـ ٢ ص ٥٢ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٤٣ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٥٨ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٤٥ . البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٧٥ .

قُدُومُ جَرير بن عَبد الله البَجَلي وإسلامه :

قال جرير : لما دنوت من المدينة ، أنختُ راحلتي ، ثم حللت عيبتي[1] ، ثم لبست حُلَّتي ، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب ، فرماني الناس بالحَدَق[2] ، فقلت لجليسي : يا عبد الله ، هل ذكرني رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ذكرك بأحسن ذكر : « يدخل عليكم من هذا الباب - أو من هذا الفَج - من خير ذي يَمَن ، إلاّ أن على وجهه مِسْحة مُلْك » .

وقال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلاّ تبسَّم في وجهي ، وقال ﷺ لأصحابه : « إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه » .

وجرير بن عبد الله ، هو الذي أحرق ذا الخَلَصة ، وكان بيتاً يعبده خثعم وبَجيلة .

كان جرير رضي الله عنه ، ذا شكل عظيم ، ومن أحسن الناس وجهاً ، وكان من أغضّ الناسِ طرفاً[3] .

---

(١) العَيْبَةُ : وعاء من أدَم ، يكون فيها المتاع ، لسان العرب : جـ ١ ص ٦٣٤ .

(٢) حَدَقة العين : سوادها الأعظم ، والجمع حَدَق وحِداق ، والتحديق : شدة النظر ، مختار الصحاح : ص ١٢٧ .

(٣) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٤٩ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٧٧ .

وِفَادَةُ وائل بن حُجْر بن ربيعة (أحد ملوك اليمن) :

كان أحـد ملوك حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم ، وبشَّر ﷺ بقدومه : « يأتيكم بقية أبناء الملوك » ، فلما دخل رحَّب بـه وأدنـاه من نفسه ، وقرَّب مجلسه ، وبسط له رداءه ، وقال : « اللهم بـارك في وائل وولده ، وولد ولده » . واستعمله ﷺ على بعض من حضرموت .

وِفَادة لَقِيط بن عامر بن المنتَفِق «أَبي رَزِين العقيلي» :

قـدم مع أبي رزين صـاحب لـه يقـال لـه : نَهيـك بن عـاصم بن مـالـك بن المنتَفِق ، فسـألا رسـولَ الله ﷺ أسئلـة عـديـدة ، فَهِما من خلالها الإسلام ، ثم قال لقيـط : يـا رسول الله ، عَلاَمَ أُبـايعـك ؟ قـال ﷺ : على إقام الصلاة ، وإيتـاء الزّكاة ، وزِيَـال الشرك ، وألا تشرك بالله إلهاً غيره .

وِفَادة زياد بن الحارث الصُّدَائي :

بعث رسول الله ﷺ بعد عمرة الجِعرانة قيسَ بن سعد بن عبـادة في أربعمئة إلى بلاد صُدَاء[1] ، وقـدم خلالهـا زيـاد بن الحـارث الصُّـدَائي فبايع رسول الله ﷺ على الإسلام ، فأُخْبِر أن رسول الله ﷺ قد بعث

---

(١) صُـدَاء : مخلاف بـاليمن بينـه وبين صنعـاء اثنـان وأربعـون فرسخـاً ، معجم البلـدان : جـ ٣ ص ٣٩٧ .

جيشاً إلى قومه ، فقال زياد : يا رسول الله ، أردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم ، فبعث ﷺ رجلاً فردَّهم ، فأرسل زياد إلى قومه كتاباً ، فقدم وفدُهم بإسلامهم .

وقال الوفد : يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها ، واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قلَّ ماؤها فتفرَّقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا ، وكلٌّ من حولنا عَدوٌّ ، فادع الله لنا في بئرنا فيسعنا ماؤها ، فنجتمع عليه ولا نتفرق ، فدعا ﷺ بسبع حصيّات ، فعركهن بيده ، ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيَّات ، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة واذكروا الله ، قال الصُّدَائي : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها - يعني البئر - [1] .

قُدُومُ عبد الرحمن بن أبي عقيل في قومه :

يقول عبد الرحمن ، انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ ، فأتيناه فأنخنا بالباب ، وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نَلِجُ عليه . فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا

---

(١) ابن سعد : جـ ١ ص ٣٢٦ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٥٥ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٦٧ ، الاكتفاء : جـ ١ ص ١٧١ / أ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٦٣ . السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة : جـ ٣ ص ٤٣ .

عليه ، وقال رجل منا ، يا رسول الله ، ألا سألتَ ربَّك مُلْكاً كملك سليمان ؟ قال : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : « فلعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله عز وجل لم يبعث نبيّاً إلاّ أعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها ديناً فأُعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأُهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأُمَّتي يومِ القيامة »[1] .

قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه :

يقول طارق : خرجنا من الرَّبذة نريد المدينة نمتار من تمرها ، فلما دنونا من حيطانها ونخلها ، قلت : لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه ، إذا رجل في طِمْرين[2] فسلَّم علينا وقال : « من أين أقبل القوم ؟ » ، قلنا : من الرَّبذة ، قال : « وأين تريدون ؟ » ، قلنا : نريد هذه المدينة ، قال : « ما حاجتكم منها ؟» ، قلنا : نَمْتار[3] من تمرها ، ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مَخْطوم[4] ، فقال : « أتبيعوني جملكم هذا ؟ » ، قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعاً من تمر .

---

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٦٥ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٥ .

(٢) الطِّمرُ : الثوب الخَلق والجمع أطْمار ، مختار الصحاح : ص ٣٩٧ .

(٣) المِيرَة : الطَّعام يمتاره الإنسان ، مختار الصحاح : ص ٦٤٠ .

(٤) الخِطَام : الزِّمام ، مختار الصحاح : ص ١٨١ .

قال : فما استوضعنا[1] مما قلنا شيئاً ، وأخذ بخطام الجمل وانطلق ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها ، قلنا : ماصنعنا ؟ والله مابعنا جملنا ممن نعرف ، ولا أخذنا له ثمناً ، فقالت المرأة التي معنا : والله لقد رأيت رجلاً كأنَّ وجهه شقَّة القمر ليلة البدر ، أنا ضامنةٌ لثمن جملكم ، إذ أقبل الرجل فقال : « أنا رسول الله إليكم ، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ، فأكلنا حتى شبعنا ، واكتلنا فاستوفينا .

ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد ، فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس ، فأدركنا من خطبته وهو يقول : « تصدَّقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أُمَّك وأَباك وأُختك وأدناك أدناك » ، إذ أقبل رجل فقال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية ، فقال ﷺ : « إنَّ أَباً لا يَجْني على ولد » ثلاث مرات[2] .

وَفْدُ بَنِي أَسَد :

وقدم وفد بني أسد ، وفيهم ضِرَار بن الأَزْور ، ووابِصة بن مَعْبَد ، وطُلَيحة بن خويلد ـ الذي ادَّعى النبوَّة بعد ذلك ، ثم أسلم وحسن إسلامه ـ ونَفَادة بن عبد الله بن خلف ، فقال رئيسهم

---

(١) المواضَعَةُ : متاركة البيع ، وواضعه في الأمر ، وافقه فيه على شيء ، مختار الصحاح : ص ٧٢٦ .

(٢) السِّيرة النبوية لابن كثير : جـ ٤ ص ١٦٧ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٥ .

حَضْرمي بن عامر : يا رسول الله ، أتيناك نتدرَّع الليلَ البهيم في سنة شَهْباء ، ولم تبعث إلينا بعثاً[1] .

فنزل قوله تعالى فيهم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم أَنْ هَدَاكُم للإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] .

وَفْدُ بَنِي عَبْس :

كانوا تسعة نفر ، فقال لهم ﷺ : « أنا عاشركم »[3] .

وذكر أن رسول الله ﷺ بعثهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشام ، وهذا يقتضي تقدم وفادتهم على الفتح الأعظم .

وَفْدُ بَنِي فَزَارة :

وكان بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حِصْن ، والحارث بن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم على ركاب عِجَاف ، فجاؤوا مقرِّين بالإسلام ، ودعا لهم رسول الله ﷺ بالخير[4] .

---

(١) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٧ / أ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٨ ، ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩٢ ، السِّيرة الحلبيّة : جـ ٣ ص ٢٦٤ ، السِّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٠ .

(٢) الحجرات : ١٧ .

(٣) السِّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧١ .

(٤) ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩٧ ، عيون الأثر : جـ ٣ ص ٢٤٩ ، الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٨ ، السِّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧١ .

وَفْدُ بَنِي مُرَّة :

وكان الوفد ثلاثة عشر رجلاً ، منهم الحارث بن عوف ، فأجازهم وذكروا أن بلادهم مُجْدِبَة ، فدعا لهم فقال ﷺ : « اللهم اسقهم الغيث » ، فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مُطِرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ[1] .

وَفْدُ بَنِي ثَعْلَبَة :

أربعة نفر ، قالوا : نحن رُسُل مَنْ خلفنا من قومنا ، وهم يُقِرُّون بالإسلام[2] .

وَفْدُ بَنِي مُحَارِب :

قدم وفد بني محارب سنة عشر في حجة الوداع ، وهم عشرة نفر فيهم سَواء بن الحارث وابنه خزيمة ، فأسلموا وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا . وكان في الوفد رجل منهم ، فعرفه رسول الله ﷺ فقال : الحمد لله الذي أبقاني حتى صَدَّقتُ بك ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذه القلوب بيد الله عز وجل »[3] .

---

(١) ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩٧ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ٢٥٢ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٢ .

(٢) طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٣) الاكتفاء : جـ ١ ص ١٦٩ / ب ، السِّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٣ .

وَفْدُ بَنِي كِلاَب :

وكانوا ثلاثة عشر رجلاً فيهم لَبِيد بن ربيعة الشّاعر ، وجبَّار بن سُلْمى ، وكان بينه وبين كعب بن مالك خُلَّة فرحَّب به وأكرمه ، وأهدى إليه ، وجاؤوا معه إلى رسول الله ﷺ فسلَّموا عليه بسلام الإسلام ، وذكروا له أن الضحَّاك بن سفيان الكلابي سار فيهم بكتاب اللهِ وسُنَّةِ رسوله التي أمره اللهُ بها ، ودعاهم إلى الله فاستجابوا له ، فأخذ صدقاتهم عن أغنيائهم فصرفها على فقرائهم[1] .

وَفْدُ بني رُؤَاس بن كلاب :

قدم عمرو بن مالك بن قيس على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم رجع إلى قومه بني رُؤَاس بن كلاب فدعاهم إلى الله عز وجل ، فقالوا : حتى نصيبَ من بني عقيل مثل ماأصابوا منا .

فذكر مقتلة كانت بينهم ، وأن عمرو بن مالك هذا قتل رجلاً من بني عقيل ، فشددت يدي في غلٍّ وأتيت رسول الله ﷺ ، وبلغه ما صنعتُ فقال : « لئن أتاني لأضربن ما فوق الغُلّ من يده ، فلما جئت سلَّمت فلم يرد عليَّ السَّلام ، وأعرض عني ، فأتيته عن يمينه فأعرضَ

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٩ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٠٠ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٣ .

عني ، فأتيته عن يَساره ، فأعرض عني ، فأتيته من قِبَل وجهه فقلت : يا رسول الله إن الربَّ عز وجل ليُترَضّى فيرضى ، فارض عني ، رضي الله عنك ، قال ﷺ : « قد رضيتُ »[1] .

وَفْدُ بني قشير بن كعب :

وذلك قبل حجة الوداع وقبل حنين ، فذكر فيهم قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سلمة الخير من قشير ، فأسلم فأعطاه رسول الله ﷺ وكساه بُرْداً ، وأمره أن يلي صدقات قومه[2] .

وَفْدُ بني البَكَّاء :

كانوا ثلاثين رجلاً ، فيهم معاوية بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البَكَّاء ، ومعه ابن له يقال له : بِشْر ، فقال : يا رسول الله ، إني أتَبرَّكُ بمسِّك ، وقد كبرتُ ، وابني هذا بَرٌّ بي ، فامسح وجهه ، فمسح رسول الله ﷺ من وجهه ، وأعطاه أعنزاً عُفْراً[3] ، وبرَّك عليهن ، فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سَنة[4] .

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٠ ، السِّيرة الحلبيَّة : جـ ٣ ص ٢٧٠ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٤ .

(٢) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٠ .

(٣) العُفْر والأعفر : الأبيض ، قال ﷺ لامرأة : « عَفِّري » ، أي استبدلي أغناماً بيضاً ـ بدل السوداء ـ فإن البركة فيها ، مختار الصحاح : ص ٤٤١ .

(٤) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٥ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٠ .

وَفْدُ كِنَانَة :

قدم واثِلة بن الأَسْقع الليثي على رسول الله ﷺ وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فصلَّى معه الصبح ، ثم رجع إلى قومه ، فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله ﷺ ، فقال أبوه : والله لا أحملك أبداً ، فسمعت أخته كلامه ، فأسلمت وجهَّزته ، حتى سار مع رسول الله ﷺ إلى تبوك وهو راكب على بعير لكعب بن عُجْرة[1] .

وَفْدُ أَشْجَع :

وفدوا مئة رجل ، ورئيسهم مسعود بن رُخَيْلة ، فنزلوا شِعْبَ سَلْع ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، وأمر لهم بأحمال التمر .

وفي رأي : بل قدموا بعدما فرغ ﷺ من بني قريظة ، وكانوا سبعمئة رجل ، فوادعهم ، ورجعوا ثم أسلموا بعد ذلك[2] .

وَفْدُ بَاهِلَة :

قدم رئيسهم مُطرف بن الكاهن بعد الفتح الأعظم فأسلم ، فأخذ لقومه أماناً ، وكتب له ﷺ كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام ، كتبه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه .

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩١ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٦ .

(٢) طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٠٦ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٦ .

وَفْدُ بَنِي سُلَيْم :

أسلم قيس بن نُشْبة ، ورجع إلى قومه من بني سُلَيم ، فقال : قد سمعت ترجمة الروم ، وهَيْنَمة فارس ، وأشعار العرب ، وكهانة الكُهّان ، وكلام مَقَاوِل حِمْيَر ، فما يشبه كلامُ محمّد شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه ، فلما كان عام الفتح خرجت بنو سُلَيم فلقوا رسول الله ﷺ بِقَديد وهم سبعمئة ـ وقيل كانوا ألفاً ـ وفيهم العباس بن مِرْداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا وقالوا : اجعلنا في مقدّمتك ، واجعل لواءنا أحمر ، وشعارنا مُقَدَّماً ، ففعل ﷺ ذلك بهم ، فشهدوا معه ﷺ الفتح الأعظم وحنيناً والطائف[1] .

وَفْدُ بَنِي هِلاَل بن عَامِر :

وكان فيهم عبد عوف بن أَصْرَم ، فأسلم وسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وقَبِيصَة بن مُخَارِق ، وكان فيهم زياد بن عبد الله بن مالك بن بُجَير ، فلما دخل المدينة المنوّرة يَمَّم منزل خالته أُمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث ، ولما خرج ﷺ إلى المسجد ، أخذ زياداً معه ، فصلّى ﷺ الظهر ثم أدناه ، فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حَدَرها على طرف

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٢ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٠٧ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٧ .

أنفه ، فكانت بنو هلال تقول : ما زلنا نتعرَّف البَرَكة في وجه زياد[1] .

وَوَفد مِنْ أَهْلِ ٱلْيَمَنِ :

ثلاثـة عشر رجلاً من تَجيب ، وعشرة من خَوْلان ، تعلمـوا القرآن والسُّنن ، فلما رجعوا أَحَلُّوا مـا أحل الله ، وحرَّموا مـا حرم الله ، وجـاء وفد جُعْفِي وكانوا يحرّمون أكلَ القلب ، فلما أسلم وفـدهم ، أمرهم رسول الله ﷺ بـأكل القلب ، أَمَرَ بـه فشوِي ، ونـاولـه رئيسهم وقـال : لا يتمُّ إيمانكم حتى تأكلوه ، فأكلوه[2] .

قُدُوم وَفْد ٱلأَزْد :

قال سويد بن الحارث : وفدتُ سـابع سبعـة من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنـا عليـه وكلَّمنـاه أعجبـه ﷺ مـا رأى من سَمْتِنـا وزِيِّنا ، فقال ﷺ : « من أَنتم ؟ » قلنـا : مؤمنون ، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : « إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أَمَرَتْنا بهـا رُسُلُـك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتَنا أن نعمل بها ، وخمس تَخَلَّقنا بهـا في الجـاهليـة فنحن عليها ، إلاَّ أن تكره منها شيئاً .

---

(١) البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٢ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٨ .

(٢) الكامل في التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٨ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٧٩ .

فقال رسول الله ﷺ : « ما الخمسة التي أَمَرتْكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أُمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال ﷺ : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إلـه إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فقال ﷺ : « وما الخمسة التي تخلَّقتم بها في الجاهلية ؟ » .

قلنا : الشكر عند الرَّخاء ، والصَّبْر عند البلاء ، والرضى بِمُرِّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشَّماتة بالأعداء .

فقال رسول الله ﷺ : « حكماء عُلَماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ، ثم قال ﷺ : « وأنا أزيدكم خَمْساً ، فيتمُّ لكم عشرون خصلة ، إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تَبْنوا ما لا تَسْكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تَزُولون ، واتقوا الله الذي إليه تُرْجَعُون وعليه تُعْرَضُون ، وارغبوا فيما عليه تَقْدمُون ، وفيه تَخْلُدون » .

فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ ، وحفظوا وصيَّته وعملوا بها[1] .



---

(١) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : جـ ٤ ص ١٨٠ ، طبقات ابن سعد : جـ ١ ص ٣٣٧ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩٤ .

هذه هي أهمُّ الوفود التي أمَّت المدينة المنوَّرة ، وكان قدوم معظمها سنة تسع للهجرة ، ويلمس المرء عند معظمهم صدقَ الإيمان ، ولكنهم عندما عادوا ليبلِّغوا الإسلام إلى قومهم ، لم يكن الأمر سهلاً أمامهم . صحيح أنهم مسلمون صادقون خُلَّص ، عملوا بإيمان صادق لإعلاء شأن الإسلام ، ومستعدِّين لبذل نفوسهم في سبيل بثِّ الدعوة بين إخوانهم في قبائلهم . ولكن إسلام بعض القبائل كان سطحياً ، لم يصحب أفرادها رسول الله ﷺ ولم يروه ، فعندما توفي ﷺ لم يكن الإسلام كعقيدة قد تشرَّبته نفوسهم ، فكانت رِدَّة بعض القبائل واتباعها للمتنبِّئين ، وهذا موضوع الجزء الأخير من هذه السلسلة ، حيث سنرى ثقل الأمانة التي أُلقيت على كاهل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، والتي استطاع بجدارة وأهليَّة تخطِّي الأزمة التي قام بها المرتدُّون .

لقد كان الصِّدِّيق والصَّحابة الأُوَل ورثة رسول الله ﷺ الصادقين المخلصين ، ورسل الإسلام والأوصياء الأوفياء على كل ما أنزل الله عز وجل على رسوله الصادق الأمين ، لقد تغلغل الإسلام في نفوسهم ، وملأ الإيمان قلوبهم خلال صحبتهم لرسول الله ﷺ ، فهم الأُمناء على تراث الإسلام كلِّه ، فحفظوه ـ بعد رسول الله ﷺ ـ من الضَّيَاع .

هؤلاء الرجال كانوا قوّة الحقِّ كيلا يُقْهَر ، وجانبه العزيز فما ذلَّ ، فأبقوا على النهج قويماً كما يجب أن يكون ، وتربية هؤلاء الأبطال

جانب من جوانب عظمة رسول الله ﷺ ، وهذا بسمارك ـ عظيم أوربة كُلِّها في القرن التاسع عشر ـ يقول عندما درس بعمق ما قدمه رسول الله وخلفاؤه للإنسانية :

« إنّي تدبّرتُ وتأمّلتُ ودقّقتُ الكتبَ السّماويّة الّتي يُدّعى أنّها واردة من اللاّهوت ، فما وجدتُ لما فيها من التّحْرِيفِ ما أنا طالبه من الحكمة ، وإن تلك القوانين ليست بحيث تُؤَمّن السّعادة البشريّة ، لكن القرآن المحمّدي ليس بداخل في ذلك القيد ، نعم دقّقت القرآن من كل وجهة ، ومن كل نقطة ، فوجدتُ في كُلّ كلمة منه حكمة عظيمة ، ومن ادّعى أنّ هذا القرآن تَرَشّحَ من قريحة محمّد ، فقد أغمض العينَ عن الحقائق ، لأن ذلك الزّعم يَمُجُّه العلم والحكمة ، وإني أدّعي أن حضرة محمّد قدوة ممتازة ، وليس في الإمكان إيجاد قدوة كمحمد ثانيةً .

فيا محمّد ، إنّي متأثّر جداً من أن لم أكن معاصراً لك ، إن الكتاب الذي نشرته ليس من قريحتك ، وإنكار أُلوهيته هراء ، إنّ البشريّة رأت قدوةً ممتازةً مثلك مرّة واحدة ، ولن ترى ذلك مرّة أُخرى ، فبناء على هذا ، أنا أُعظّمك بكمال الاحترام ، راكعاً في حضورك المعنوي » .



من آثار « مدائن صالح »

المحتوى

سلسلة «المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام»

١ ـ القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص
٢ ـ اليرموك بقيادة خالد بن الوليد
٣ ـ نهاوند بقيادة النعمان بن مقرِّن المزني
٤ ـ ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٥ ـ فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد
٦ ـ بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي
٧ ـ فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات
٨ ـ الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين
٩ ـ الأرك بقيادة المنصور يعقوب الموحِّدي
١٠ ـ العقاب بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحِّدي
١١ ـ مصرع غرناطة « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر »

☆ ☆ ☆

للمؤلف

١ ـ الإسلام في قفص الاتهام (ترجم إلى الفارسية)
٢ ـ مَنْ ضيَّع القرآن ؟
٣ ـ الإنسان بين العلم والدين
٤ ـ هارون الرشيد
٥ ـ غريزة .. أم تقدير إلهي ؟
٦ ـ آراء يهدمها الإسلام
٧ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية
٨ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي
٩ ـ الهجرة « حدث غيَّر مجرى التاريخ »
١٠ ـ جرجي زيدان في الميزان